6.12.2012





أليس في بلاد العجائب

لويس كارول





لويس كارول

أليس في بلاد العجائب

ترجمة: شكير نصر الدين





المركز الثقافي العربي

لويس كارول

أليس في بلاد العجائب

الكتاب
أليس في بلاد العجائب
تأليف
لويس كارول
ترجمة
شكير نصر الدين
الطبعة
الأولى، 2012
عدد الصفحات: 144
القياس: 14.5 × 21.5
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9953-68-528-1

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 303339 0522 ـ 307651 0522
فاكس: 305726 522 212+
Email: markaz@wanadoo.net.ma
بيروت ـ لبنان
ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 750507 01 ـ 352826 01
فاكس: 343701 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

الرسوم للفنان
جون تنيال
(John Tenniel)



الفصل الأول

السقوط في جحر الأرنب

بدأ الضجر يتسلل إلى أليس من المكوث جالسة برفقة أختها عند منحدر من دون فعل أي شيء: لمرة أو مرتين ألقت نظرة إلى كتاب كانت أختها منهمكة في قراءته، لكنه كان خالياً من الصور والحوارات: ففكرت أليس «وما الفائدة من كتاب لا صور فيه ولا حوارات؟».

بينما كانت تتساءل في قرارة نفسها (بقدر ما استطاعت التفكير، حيث كانت تشعر بأن النوم قد غلبها وأضحت متبلدة الذهن جراء الحرارة) هل أن متعة صنع باقة من الأزهار تستحق عناء النهوض ثم المشي لاقتطافها، فجأة مرَّ يركض بالقرب منها أرنب له عينان ورديتان.

لم يكن في الأمر ما يسترعي الانتباه؛ ولم تستغرب أليس

بتاتاً حينما سمعت الأرنب يتمتم: «يا إلهي! يا إلهي! سوف أتأخر!» (حينما فكّرت في الأمر عقب ذلك، جال في خاطرها أنه كان عليها الاستغراب منه، لكن في تلك الآونة بدا لها ذلك طبيعياً؛ وعندما قام الأرنب بإخراج ساعة من جيب صدريته ونظر إلى الساعة ثم ركض مسرعاً، قفزت أليس من مكانها، إذ عنت لها، فجأة، فكرة أنه لم يسبق لها مشاهدة أرنب يلبس صدرية ذات جيب، أو ساعة يخرجها من مثل ذلك الجيب. وهي تتحرق فضولاً، اندفعت عبر الحقول مقتفية أثره، وكم كانت محظوظة إذ رأته ينحشر في جحر واسع منفتح تحت سياج من الأعشاب. بعد ذلك بقليل، ولجت أليس الجحر بدورها ولم ينشغل بالها قط بمعرفة السبيل إلى مغادرته.

كان الجحر في أوله محفوراً على نحو أفقي مثل نفق، ثم اتخذ شكل منحدر مباغت ووعر، إذ لم تكد أليس تفكر في التوقف حتى أحست بأنها تسقط في ما يشبه بئراً شديدة العمق.

إما أن البئر كانت شديدة العمق، أو كانت أليس تسقط ببطء شديد. انتبهت أثناء سقوطها أن لها ما يكفي من الوقت كي تنظر حولها وتتساءل عما سيحدث بعد ذلك. أولاً، حاولت النظر إلى الأسفل كي ترى المكان الذي ستصل إليه، لكن الظلام الحالك لم يسمح لها بتمييز أي شيء. ثم تفحصت جدران البئر ولاحظت أنها كانت مكسوة بالخزانات ورفوف الكتب. هنا وهناك، خرائط جغرافية ومنحوتات عُلِّقَتْ إلى مسامير. التقطت أليس في طريقها من على أحد الرفوف علبة كُتِبَ عليها: مربى البرتقال. لكن يا لخسارتها الكبرى! فقد كانت فارغة. لم تشأ التطويح بها مخافة أن

تصيب أحداً في الأسفل وتقتله، وهكذا تيسَّر لها وضع العلبة في إحدى الخزانات التي كانت تمر أمامها أثناء سقوطها.

قالت محدثة نفسها: «يا إلهي، إن مثل هذه السقطة وسقوطي عن السلم عندما أعود إلى البيت سيَّان! ولسوف يعترف جميع من في البيت بشجاعتي! وبكل صدق، حتى ولو سقطت من على سقف المنزل لن أفاتح أحداً في الأمر! (وهذا افتراض وارد بالفعل). كانت تسقط أكثر، فأكثر ثم أكثر.

أَوَليس لهذه السقطة من نهاية، على الإطلاق؟ أتساءل كم قطعت من الكيلومترات؟ قالت بصوت مسموع. ربما أنا على مقربة من مركز الأرض. هيا نتفحص الأمر: إنها سقطة على عمق ستة أو سبعة آلاف كيلومتر، هذا ما أعتقد على الأقل،.. (حيث، كما تعلمون، كانت أليس قد تعلمت في المدرسة أموراً كثيرة من هذا القبيل، ولو أن الوقت لم يكن مناسباً للتباهي بمعارفها ما دام لم يكن هنالك من أحد يسمعها، فقد كان استظهار ذلك مراراً تمريناً جيداً). أجل، لعلها المسافة الصحيحة... لكن، على سبيل المثال، أتساءل عن الموضع الذي أنا فيه بحسب خطَّي العرض والطول؟»

(لم تكن أليس تملك ولو أدنى فكرة عن العرض ولا عن الطول، لكنها كانت ترى أنهما كلمتان جميلتان جدّاً، جديرتان بالاستعمال).

وما هي سوى لحظات حتى قالت مستطردة: «أتساءل ما إذا كنت سأعبر الأرض من أطرافها! كم سيكون الأمر مضحكاً لو ظهرتُ بين أولئك القوم الذين يمشون على رؤوسهم! أظن أنهم

يُسَمَّون بأعداء الأرجل - هذه المرة كانت مسرورة لأن ما من أحد كان هناك ليسمعها، إذ بدا لها أنها لم تكن الكلمة المناسبة بتاتاً - لكن سوف أضطر لسؤالهم عن اسم البلد بالطبع. من فضلك، يا سيدتي، هل أنا في زيلاندة الجديدة أم في أستراليا؟ (ثم حاولت الانحناء احتراماً وهي تتحدث - تخّيلوا كيف سيبدو الانحناء احتراماً بينما يسقط المرء في الفراغ! أتعتقدون بأنكم تقدرون على ذلك؟). وقد تخال السيدة أنني فتاة صغيرة جاهلة!لا، من الأفضل ألا أستفسر عن أي شيء؛ ربما قد ألحظ الاسم مكتوباً في مكان ما».

كانت تسقط أكثر، فأكثر، ثم أكثر. وحيث لم يكن بمقدورها فعل شيء آخر، عادت أليس تحدّث نفسها مجدداً: «سوف تفتقدني دينا كثيراً هذا المساء بالتأكيد! (دينا، إنها القطة). أتمنى ألا ينسى من في البيت إطعامها كوب الحليب المعتاد وقت تناول الشاي. عزيزتي دينا، كم أود أن تكوني هنا برفقتي! أخشى كثيراً عدم وجود الفئران في الفراغ، لكنك تستطيعين الإمساك بخفّاش، تصوّري، إنه حيوان يشبه الفأر جدّاً. لكن أتساءل إن كانت القطط تأكل الفئران؟».

في تلك اللحظة، بدأت أليس تشعر بالنعاس وأخذت تردد كما لو أنها تحلم: «هل تأكل القطط الخفافيش؟»، وأحياناً: «هل تأكل الخفافيش القطط؟»، إذ كما ترون، بما أنها لم تكن قادرة على الإجابة عن أي من السؤالين، فإنه لم يكن من المفيد معرفة صيغة طرحهما. شعرت بأنها كانت تنام بحق، وبدأت تحلم بأنها كانت تتجوّل بصحبة دينا يداً بيد، وهي تقول لها بجدّية: «هيا يا

دينا، صارحيني بالحقيقة: هل سبق لك أكل خفاش؟». حينها، فجأة، طق! (هوت فوق كومة من الأعشاب والأوراق اليابسة، وبالتالي انتهت سقطتها).

لم تتعرّض أليس لمكروه ونهضت في لمح البصر؛ تطلعت نحو الأعلى لكن كل شيء كان مظلماً فوقها. وأمامها مباشرة هنالك ممر طويل آخر فيه رأت الأرنب الأبيض يركض مسرعاً. لا وقت للهدر، وها هي أليس تنطلق كالريح. سمعته يقول عندما كاد أن يختفي عند المنعطف: «أقسم بأذنيّ وبشاربيّ بأني تأخّرت كثيراً!». عبرت بدورها المنعطف، بعده بوقت قليل، لكن لما تجاوزته، كان الأرنب قد اختفى. وجدت أليس نفسها في قاعة فسيحة ومنخفضة تضيئها مجموعة من المصابيح المعلَّقة إلى السقف.

كانت حول القاعة أبواب كثيرة، لكنّها كانت كلها مقفلة بالمفتاح؛ وعندما عبرت أليس القاعة طولاً وعرضاً وحاولت فتحها الواحدة تلو الأخرى من دون طائل، عادت إلى وسط القاعة وهي حزينة متسائلة عن كيفية الخروج. وفجأة وجدت نفسها أمام مائدة صغيرة لها ثلاث قوائم مصنوعة بالكامل من الزجاج الفاخر، وُضِعَ عليها مفتاح ذهبي صغير، وأول فكرة خطرت ببال أليس هي أن المفتاح بالتأكيد يفتح أحد أبواب القاعة. ولكن هيهات! هل كانت الأقفال كبيرة جدّاً أم أن المفتاح هو الذي كان صغيراً؟ المهم أن المفتاح لم يفتح أياً من الأبواب. لكن حينما طافت أليس للمرة الثانية بالقاعة، اكتشفت ستاراً منخفضاً لم تلحظه من قبل، خلف ذلك الستار كانت هناك بوابة صغيرة بِعُلوٍّ نحو أربعين

سنتمتراً: حاولت وضع المفتاح الذهبي الصغير في ثقب القفل وفرحت كثيراً لما رأت أن المفتاح يلج الثقب بسهولة!

فتحت أليس الباب ووجدت أنه يؤدي إلى ممرٍّ ضيق لا يكاد يفوق حفرة جرذان؛ جثت على ركبتيها، ورأت في آخر الممر أجمل حديقة قد يحلم بها المرء. وكم كانت تودّ الخروج من تلك القاعة المظلمة والتنزّه وسط بساط الأزهار ذات الألوان الأخّاذة والنافورات المنعشة! لكنها لم تستطع تجاوز مدخل الباب برأسها؛ وقالت أليس المسكينة: «وحتى لو تجاوزته برأسي، لن ينفعني ذلك في شيء ما دام كتفاي سيعلقان. آه! كم أودّ أن أنكمش على نفسي مثل التلسكوب(المقراب)! أظن أني قد أستطيع لو عرفت السبيل للشروع في ذلك». هذا لأنه، كما تعلمون، وقعت أحداث غريبة، إذ اقتنعت أليس أن لا شيء، أو بالكاد لم يعد هناك من شيء مستحيل، في حقيقة الأمر.

بات من غير المجدي الانتظار قرب الباب الصغير؛ لهذا رجعت أليس إلى حيث المائدة يحدوها أمل أن تجد مفتاحاً آخر، أو على الأقل، كتاباً يتضمّن وصفة تجعل الناس ينكمشون على أنفسهم مثل المقراب. وهذه المرة وجدت على المائدة قارورة صغيرة (قالت أليس إنها لم تكن موجودة قبلاً) تلفّ عنقها بطاقة ملصقة عليها كلمة «تجرعني» مطبوعة بحروف بارزة ورائعة. شيء جميل أن يقال: «تجرّعني»، لكن أليس الصغيرة المحترسة لن تستعجل الانصياع للأمر: «لا، أولاً سوف أفحص ذلك مليّاً، فكرتْ، للتحقّق من وجود كلمة: سُمّ»؛ لأنها قرأت العديد من القصص القصيرة الممتعة تحكي عن أطفال تعرضوا للحرق أو


DRINK ME

التهمتهم وحوش ضارية، أو كانوا ضحايا مغامرات أخرى مزعجة، كل ذلك لأنهم رفضوا تذكّر قواعد السلوك البسيطة التي علّمهم إياها أصدقاؤهم: على سبيل المثال، السيخ الملتهب والذي يحرّك به الجمر قد يحرقك إن أمسكته بيدك طويلاً، أو إنْ أنت تسّببت في جرح غائر بإصبعك بواسطة سكين، فمن الطبيعي أن ينزف، ولم تنس أليس قط أنه إذا شربنا كمية هائلة مما في قنينة عليها ملصق: سُمّ، فإنّ ذلك سيؤدي دوماً، إن عاجلاً أو آجلاً، إلى المتاعب.

وحيث إن هذه القارورة لم تحمل الملصق: «سُمّ»، خاطرت أليس بأن تذوّقت محتواها، ولما وجدت أنه لذيذ (في الحقيقة، يذكِّر في الوقت ذاته بمذاق فطيرة الكرز، والكريمة المقلوبة، والأناناس، والديك الرومي المحمّر، والكراميل، والمحمّرات الساخنة المدهونة جيداً)، سارعت إلى شربه في الحال حتى آخر قطرة فيه.

* * *

«يا له من إحساس غريب! قالت أليس. يبدو أنني أنكمش على نفسي مثل مقراب!». كانت محقّة: لم يعدْ طولها يبلغ سوى خمسٍ وعشرين سنتمتراً. وأشرق وجهها عندما أدركت أن قامتها صارت تسمح لها بتجاوز البوّابة الصغيرة ودخول الحديقة الغنّاء. ومع ذلك انتظرت مرور بضع دقائق للتحقق مما إذا كانت مستمرة في انكماشها؛ وقد كان ذلك يشغل بالها بعض الشيء؛ «حيث، كما تعلمون، فكّرت أليس، ربما قد يصل بي الأمر إلى الزوال تماماً مثل شمعة. في هذه الحال، أتساءل كيف سأبدو حينها».

وحاولت تخيّل كيف يبدو لهب شمعة فور انطفائها، لأنها لم تتوصّل إلى تذكّر أنها رأت في السابق شيئاً مماثلاً.

وبعد ذلك بوقت قليل، وحيث لم يطرأ شيء، قرّرت دخول الحديقة من دون الانتظار لوقت أطول، لكن هيهات! يا لخسارة أليس المسكينة! وعندما وقفت أمام الباب أدركت أنها نسيت المفتاح الذهبي الصغير، ولما عادت أدراجها نحو المائدة بحثاً عنه فهمت أنه أصبح من المستحيل عليها الوصول إليه، وإن كانت تراه بوضوح من خلال الزجاج. حاولت جاهدةً تسلّق قوائم المائدة لكنها كانت ملساء جدّاً، وعندما تعبت جرّاء محاولاتها غير المجدية، جلست الفتاة الصغيرة على الأرض وانهمرت دموعها بغزارة.

«هيا، لا فائدة من البكاء هكذا!»، قالت محدّثة نفسها بنبرة صارمة. «أنصحك بالتوقف فوراً!». لقد اعتادت أليس على توجيه نصائح مفيدة لنفسها (وهي لا تصغي لنفسها أبداً)، وأحياناً كانت تؤنّب نفسها بشدة إلى حدٍّ أنّ عينيها كانتا تغرورقان بالدموع. وتذكرت أنها ذات يوم حاولت صفع وجهها بنفسها لأنها غشّت أثناء مباراة للكرة كانت تلعب فيها ضد نفسها، لأن هذه الطفلة غريبة الأطوار كانت تحبُّ كثيراً التظاهر بأنها شخصان اثنان مختلفان. «لكن من غير المجدي الآن، فكرت أليس المسكينة، التظاهر بكوني شخصين اثنين! إذ بالكاد يتبقى مني ما يكفي لتشكيل شخص واحد جدير بهذا الاسم!».

وما هي إلا برهة حتى وقع نظرها على علبة زجاجية كانت موضوعة تحت المائدة؛ فتحت العلبة فوجدت بداخلها قطعة

حلوى صغيرة جدّاً مع عبارة «التهمني» كتبت بعناية فائقة بواسطة رَصْفِ عدد معيَّن من حبّات زبيب كورانث.

«يا إلهي سوف آكلها، قالت أليس؛ إذا جعلتْ حجمي يكبر أستطيع إذاك الوصول إلى المفتاح، وإذا جعلته يصغر أستطيع التسلل من تحت الباب؛ في كل الأحوال، سوف أدخل الحديقة، وليحدث ما يحدث!».

أكلت قسماً صغيراً من الحلوى وتساءلت وهي حائرة: «نحو الأعلى أو نحو الأسفل؟»، واضعة يدها على رأسها لمعرفة إن كانت تنمو أو تنكمش. إلاّ أنها اندهشت كثيراً حينما لاحظت أن قامتها لم تتغير: «أكيد أن هذا ما يحدث عموماً عندما تؤكل الحلوى»، لكن أليس التي تعودت منذئذٍ على توقّع العجائب بدا لها من الممل والسخيف أن تشهد الحياة وهي تستمر على نحو عادي. لذلك شمّرت بحق عن ساعد الجد وما هي إلا لحظة حتى أتت على الحلوى حتى آخر كسرة منها.



الفصل الثاني

بركة الدموع

«من سيئ إلى أسوأ! صاحت أليس (كم كانت دهشتها كبيرة إلى حدّ أنها نسيت في تلك اللحظة الحديث بشكل لائق). ها أنا الآن أتمدّد مثل أكبر مقراب في العالم! وداعاً يا قدميّ! (لأنها حينما كانت تنظر إلى قدميها كانتا تبدوان لها كما لو أنهما أصبحتا خارج مرمى بصرها بفعل ابتعادهما). آه يا قدميَّ الصغيرتين المسكينتين، أتساءل الآن من سيلبسكما جوربيكما وحذاءيكما، يا عزيزتيّ؟ المؤكد أنني سوف أكون بعيدة وغير قادرة على الاهتمام بكما: ما عليكما سوى الاعتماد على نفسيكما».

«لكن يجب أن أكون لطيفةً معهما، حدّثت أليس نفسها. قد ترفضان نقلي إلى حيث أريد الذهاب! لندرس الأمر قليلاً: سوف أُهديكما زوج حذاء جديد مع حلول كل سنة ميلادية جديدة».

وإثر ذلك أخذت تفكر في الكيفية التي سوف توصل بها

الحذاءين إلى وجهتهما. «يجب أن أعهد بهما إلى وكيل ما، فكرت؛ كم سيبدو الأمر ظريفاً أن يبعث المرء هدايا إلى قدميه! وكم سوف يبدو العنوان بمسحة غريبة!.

السيدة قدم أليس اليمنى واجهة المدفأة، قرب حاجز المدفأة، (مع مودتي، أليس).

آه! يا إلهي! يا لها من سخافات أتفوه بها الآن!».

في هذه اللحظة تحديداً ارتطم رأسها بسقف القاعة: إذ في الحقيقة أصبح طولها الآن يفوق مترين وخمسة وسبعين سنتمتراً. أخذت المفتاح الذهبي الصغير توّاً وعادت بسرعة إلى باب الحديقة.

يا لأليس المسكينة! كل ما استطاعت فعله هو الانبطاح على جنبها كي تنظر إلى الحديقة بعين واحدة. أما الانتقال إلى الجانب الآخر من الحديقة فقد أضحى من سابع المستحيلات. جلست وعادت للبكاء.

«عليكِ أن تخجلي من نفسك، حدّثت أليس نفسها، فتاة ناضجة مثلك (وفي هذا الموقف) وتتباكين كما تفعلين! كفّي فوراً، قلت لك!».

ومع ذلك استمرّت في ذرف ليترات من الدموع إلى أن تجّمعت حولها بركة كبيرة بعمق عشرة سنتمترات بلغت منتصف القاعة.

بعد انقضاء وقت قصير، سمعت صوتاً بعيداً لخطوات صغيرة متسارعة، كفكفت دموعها بسرعة لتتمكن من رؤية القادم. مرة

أخرى، كان الأرنب الأبيض، بلباس أنيق جدّاً، يمسك بيده زوجاً من القفازات محبوكة من جلد الجدي الأبيض، وبالأخرى مروحة كبيرة. كان يبدو مستعجلاً جداً ويوسِّع من خطواته مغمغماً: «آه! الدوقة! آه! الدوقة! آه! كم ستكون غاضبةً إن أنا جعلتها تنتظر!». لقد بلغ اليأس من أليس مبلغه، بحيث كانت مستعدة لطلب المساعدة من أول قادم، وهكذا حينما مرَّ الأرنب بمحاذاتها قالت بخجل وبصوت خفيض: «عفواً، سيدي...». ارتعب الأرنب بشدّة فسقط القفازان المحبوكان من جلد الجدي، وكذا المروحة، ثم فرَّ هارباً في الظلمة بأسرع ما يكون.

التقطت أليس المروحة والقفازين؛ وبما أن الجو كان حارّاً في القاعة، شرعت في الترويح بلا توقف مواصلة الكلام: «يا إلهي! يا إلهي! كم يبدو كل شيء غريباً اليوم! بينما كانت الأمور عادية بالأمس. أتساءل هل تم تغييري أثناء الليل يا ترى؟ لنفكر في الأمر: هل كنت أنا نفسي حينما استيقظت هذا الصباح؟ أتذكّر جيداً إحساسي بأني صرت مختلفة بعض الشيء عن أليس الأمس. لكن إذا لم أكن أنا نفسي، يجب التساؤل إذنً من أكون؟ آه! هذه هي المشكلة الكبرى!».

وأخذت تفكِّر في كل الفتيات الصغيرات القرينات من معارفها، للتحقق مما إذا كانت قد صارت إحداهن.

أنا متأكدة من أني لستُ أدا، قالت محدّثة نفسها، لأن لها خصلات شعر مجعّدة، بينما خصلات شعري لا تتجعّد إطلاقاً. وأنا متيقنة أيضاً من أني لست **مابيل**، إذ لي ما يخصّني، أعرف شتى الأمور، بينما لا تعرف هي شيئاً بالمرة! إضافةً إلى أنها هي



هي وأنا أنا، و...آه! يا إلهي! يا له من لغز محيّر! سوف أتحقق مما إذا كنت ما أزال أعرف كل ما عرفته حتى الآن. لنر قليلاً: أربعة في خمسة تساوي اثني عشر، أربعة في ستة تساوي ثلاثة عشر، وأربعة في سبعة تساوي...أوه! يا إلهي! إذا سرتُ على هذا المنوال لن أعد حتى العشرين! لكن جدول الضرب لا يثبت شيئاً؛ لنراجع الجغرافيا. لندن هي عاصمة باريس، وباريس هي عاصمة روما، وروما...لا، كل هذا خطأ، أنا متأكدة! ربما تم جعلي **مابيل!** سوف أحاول استظهار: «أنظروا كم أن النحلة الصغيرة...». وبعد أن وضعت يديها على ركبتيها كما لو أنها تستظهر دروسها، أخذت تتلو القصيدة، لكن صوتها بدا لها أجشَّ وغريباً، وخرجت الكلمات مختلفة تماماً عما هي عليه في العادة:

انظروا كم أن التمساح الصغير يجعل ذيله براقاً، ببراعة ناثراً من حوله ماء النيل على حراشفه الذهبية!

كم يبدو أنه يبتسم مبتهجاً، ويبسط مخالبه جيداً،

ويستقبل الأسماك الصغيرة بين أسنان فكيه الساحرة!

أنا متأكدة أنها ليست الكلمات المناسبة، زفرت أليس المسكينة متحسرة، واغرورقت عيناها بالدمع مجدّداً بينما استطردت: «بعد كل شيء،لعلّني **مابيل** يجب عليَّ أن أقيم في ذلك البيت الصغير البائس، ولن يكون لديّ تقريباً أي لعب أطفال، ثم - أوه! وحفظ كل تلك الدروس! لا، لقد استقر رأيي: إن كنت **مابيل** فسأبقى هنا، ولو انحنت الرؤوس نحوي قائلة هيا، اصعدي، عزيزتي! وسأكتفي برفع ناظري والردِّ عليهم: أولاً،أفصحوا لي عمن أكون؟ وإذا راق لي أن أكون ذلك

الشخص، عندها سأصعد؛ وإلا سوف أبقى هنا إلى أن أصير شخصاً آخر... - لكن، أوه! يا إلهي!». صرخت وأخذت تبكي فجأة، «كم أود أن يطلّ عليّ أحد ما! لقد سئمت من البقاء وحيدة هنا!».

بقولها ذلك انزلق نظرها نحو يديها وتعجبت لما رأت أنها لبست أحد قفازي الأرنب المحبوكين من جلد الجدي الأبيض وهي تتكلم من دون أن تنتبه لذلك. «كيف نجحت في فعل هذا؟ تساءَلت، ربما أنني في طور التقلّص من جديد». قامت وتوجهت نحو المائدة كي تقيس نفسها بها، لاحظت أنها، وفق التقدير المحتمل جدّاً، صارت بطول زهاء ستين سنتمتراً واستمرت في التقلّص بسرعة. أدركت على الفور أن سبب ما يحصل لها لم يكن سوى المروحة التي كانت تمسكها. هكذا ألقت بالمروحة في الوقت المناسب لتفادي الاختفاء كليّاً.

«لقد نجوت بأعجوبة!» قالت أليس وقد أصابها شيء من الخوف جرّاء تغيّرها المباغت، لكنها كانت فَرِحَة لأنها لا تزال على قيد الحياة، «والآن، هيّا إلى الحديقة!»

ركضت بسرعة نحو الباب الصغير. هيهات! لقد أغلق الباب ووضع المفتاح الذهبي الصغير على المائدة كما في السابق: «كل شيء يسير من سيئ إلى أسوأ»، فكرت أليس المسكينة، «لأنه لم يحدث قط أن كنتُ صغيرة إلى هذا الحد، قط! يا له من سوء حظ عاثر بحق!».

وما كادت تنطق بهذه الكلمات حتى زلت قدمها، وسقطت بغتة! وها هي غارقة حتى الذقن في المياه المالحة. وأول فكرة

عنَّت لها، نظراً إلى ظروف لا تجد لها تفسيراً، هي أنها سقطت في البحر. «في هذه الحال أستطيع ركوب القطار للعودة»، قالت محدثة نفسها. (كانت أليس قد ذهبت إلى البحر مرة واحدة في حياتها، وقد استنتجت من ذلك قاعدة عامة تقول إنه حيثما ذهبنا إلى السواحل الإنجليزية، نجد عدداً كبيراً من مقصورات الحمَّام التي تجّرها أحصنة في البحر، وأطفالاً يلهون بحفر الرمال بواسطة مجارف خشب، ثم يليها صف من دور الضيافة العائلية، وأخيراً محطة للسكة الحديد)، إلا أنها أدركت أنها توجد داخل البركة التي شكلتها الدموع التي سكبتها عندما كان طولها يبلغ مترين وسبعة وخمسين سنتمتراً.

«أنا نادمة على البكاء كل هذا الوقت! قالت أليس وهي تسبح جاهدة للوصول إلى الضفة الأخرى. أظن أنني سوف أعاقَب الآن إذا ما غرقت في دموعي! وبالتأكيد سيبدو ذلك حادثاً غريباً! لكن اليوم كل شيء غريب».

في هذه اللحظة بالذات سمعت بالقرب منها شيئاً ما يتخبط في وحل البركة، ولاستطلاع الأمر أخذت تسبح نحو الجهة التي يصدر منها الصوت. ظنت في البداية أنه قد يكون فرس البحر أو فرس النهر، لكن تذكرت بالتالي كم هي صغيرة الحجم في الوقت الراهن، لكنها سرعان ما فهمت أن الأمر يتعلق بفأر انزلق في البركة، مثلها تماماً.

«هل سيكون من المجدي الآن التحدث إلى الفأر؟ قالت أليس محدثة نفسها. كل شيء يبدو خارقاً للعادة في هذا القبو، بحيث إنه من المرجح أن تكون فيه للفئران القدرة على الكلام:

على كل حال، يمكنني المحاولة بالتأكيد». بادرت على هذا النحو: «أيا فأر، هل تعرف سبيلاً للخروج من هذه البركة؟ لقد طفح بي الكيل من السباحة في هذه المياه أيها الفأر!»

(ارتأت أليس أن بهذه العبارات يجب أن تحدِّث الفأر، لم يسبق لها قط أن تحدثت بتلك الطريقة). لكنها تذكّرت على الفور أنها قد قرأت في كتاب أخيها للنحو اللاتيني: «فأر، من فأر، لفأر، فأر، أيا فأرِ!».

نظر إليها الفأر باستغراب (بل ظنت أليس أنها رأته يغمز بإحدى عينيه الصغيرتين) ولم يجبها بشيء. «ربما لا يفهم الإنجليزية، ظنت أليس، ربما هو فأر فرنسي جاء إلى هنا مع غيوم الفاتح»[1]. (وعلى رغم كل معرفتها التاريخية، كان لدى أليس أفكار غير واضحة عن التسلسل الزمني للأحداث).

ونتيجة ذلك قالت: «أين قطتي؟» كانت تلك أول جملة في كتابها لتعلم اللغة الفرنسية.

قفز الفأر بغتة خارج الماء وبدا أن جسمه يرتعد بأكمله من شدة الخوف.

صرخت أليس فور ذلك مخافة أن تكون قد أغضبت القارض الصغير. «أرجو أن تسامحني! نسيت أنك لا تحب القطط».

استغرب الفأر بصوت حاد ومنفعل: «أنا لا أحب القطط!

---

(1) سنة 1066 بدأت الفتوحات التي خاضها النورمانديون على إنكلترا بعد الانتصار الذي أحرزه في آستينغ غيوم الفاتح (حوالى 1027-1087) كما هو مصور في لوحة بايو الشهيرة.

وأنتِ، هل ستحبين القطط لو كنت مكاني؟».

«بكل صدق، ربما لا، أجابت أليس بنبرة لطيفة؛ لا داعي للغضب. ورغم ذلك، كم أود أن أريك قطتنا دينا: أظن أنك ستحب القطط إن رأيتها ولو مرة. إنها هادئة جداً، دينا الغالية تلك»، تابعت الفتاة الصغيرة، كما لو كانت تحدث نفسها، وهي تسبح بتكاسل وسط البركة. «إنها تهرهر بلطف بجانب المدفأة، وهي تلعق قدميها وتنظف وجهها، ثم إن ملمسها غاية في النعومة؛ وأخيراً، لا مثيل لقوتها في اصطياد الفئران ...أوه! سامحني!» صاحت أليس ثانية، إذ هذه المرة، انتفش الفأر كله، وكانت الفتاة الصغيرة متيقنة من أنها أرعبت الفأر. «لن نتحدث أبداً عن قطتنا، ما دام ذلك يغضبك».

صرخ الفأر الذي كان يرتعد من رأسه إلى ذيله: «لن نتحدث عن ذلك حقاً!، كما لو أنني كنت لأتحدث عن هذا الموضوع! إن عائلتنا تبغض القطط على مر الأزمان: إنها مخلوقات خسيسة، مقرفة، ووضيعة. لا تقدمي أبداً على ذكر كلمة «قط» أمامي! سوف أتجنب ذلك تماماً!»

قالت أليس التي كانت تتطلع إلى تغيير مجرى الحديث: «هل تحب... هل تحب... الكلاب؟».

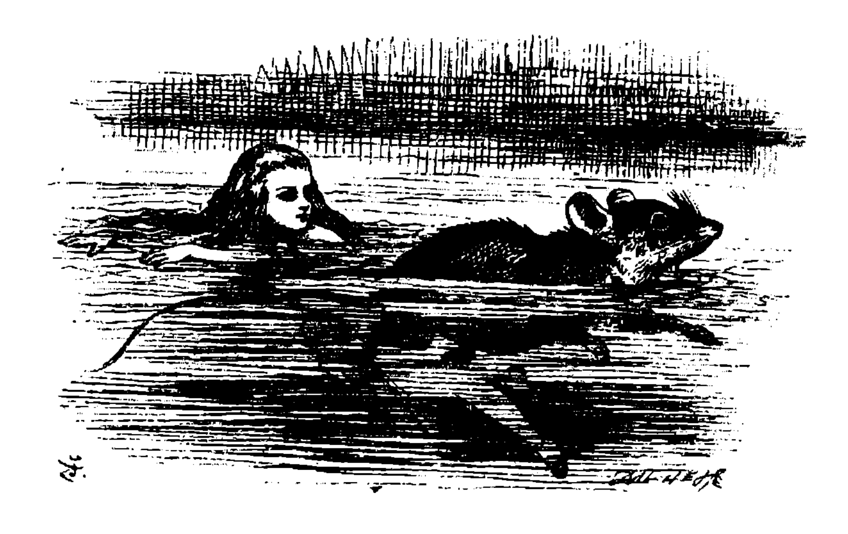
لم يجبها الفأر فتابعت أليس بحرارة:

«يوجد بالقرب من منزلنا كلب صغير أود أن أريك إياه لأنه جذاب جداً! إنه كلب الأوكار، لو تدري، إن له عينين براقتين، وشَعر طويل مجعد! إنه يلتقط كل الأشياء التي نرميها إليه، كما أنه

يقف على قائمتيه الخلفيتين لاستجداء عشائه، إضافة إلى أنه يقوم بالكثير من الحركات التي لا أقوى على تذكر نصفها. أتدري أن صاحبه مُزارع؟ ويقول هذا المزارع إنه يعينه كثيراً إلى حد أن قيمته تبلغ أكثر من ألف فرنك! ويقول إنه يقضي على الجرذان و...أوه، يا إلهي! صاحت أليس بنبرة حزينة، أخشى أني أغضبته من جديد!».

وبالفعل، كان الفأر يبتعد عنها سابحاً بأسرع ما يكون، وهو يحدث دوّامة حقيقية على سطح البركة.

عندها نادته أليس بصوت كله رقة: «أرجوك، عد يا عزيزي الفأر الصغير، ولن نتحدث عن القطط ولا عن الكلاب ما دمتَ لا تحبها!».



حينما سمع الفأر ذلك استدار وعاد سابحاً ببطء نحو أليس. كان وجهه شاحباً جداً (من الغضب، ظنّت أليس)، وقال لها

الفأر القارض مرتعداً بصوت هامس: «لنبلغ الضفة، هناك سأقص عليك حكايتي، كي تعرفي سبب بغضي للكلاب والقطط».

لقد حان وقت الرحيل، لأن البركة أصبحت إذاك مزدحمة بحيوانات مختلفة سقطت فيها: كان هناك بطة وطائر دودو بمنقاره الكبير، وببغاء هندي ونسر صغير وعدد كبير من المخلوقات الغريبة. اتخذت أليس مكانها في المقدمة وسبحت المجموعة بأكملها نحو اليابسة.



الفصل الثالث

سباق جماعي محموم... وحكاية طويلة

لقد كان حقاً تجمعاً فريداً ذاك الذي تشكّل على الضفة: كانت الطيور تجر ريشها على نحو يدعو للشفقة، بينما كانت فراء الثديات ملتصقاً ببدنها، وكانت المجموعة مبللة، غير مرتاحة ومكتئبة. طبعاً، كانت أول قضية طرحتها الحيوانات للنقاش هي إيجاد وسيلة لتجفيف نفسها. أدلى كل واحد منها بدلوه، وبعد بضع دقائق بدا لأليس أنه من الطبيعي أن تُحَدِّثَ على نحو مألوف أصحابها الجدد كما لو أنها كانت تعرفهم طوال عمرها. في الواقع، كان لها حديث مطوّل مع الببغاء الهندي الذي انتهى المطاف به إلى الاستياء مكتفياً بالقول: «أنا أكبر منك سناً، وأعرف أفضل منك ما يجب فعله». لكن أليس لم ترد تَقَبُّل ذلك

قبل معرفتها لسِنّه، وحيث إن الببغاء رفض رفضاً قاطعاً قول ذلك، بقيت الأمور كما هي عليه.

في آخر المطاف، قام الفأر الذي بدا أن له نفوذاً لدى بقية الحيوانات، وأصدر أمره بصوت عال: «اجلسوا جميعاً واصغوا إلي! سوف أقوم بتجفيفكم في الحال بما فيه الكفاية!».

فور سماع ذلك جلس الجميع على شكل دائرة كبيرة يتوسطها الفأر. حدّقت فيه أليس بنظرة حائرة لأنها كانت متأكدة أنها ستصاب لا محالة بزكام حاد إذا لم تجفف نفسها بسرعة.

إحم! تابع الفأر بتعاظم بادٍ: «هل أنتم مستعدون؟ ها هو أجفُّ شيء أعرفه. صمتاً يا جماعة، من فضلكم!... لقد استطاع غيوم الفاتح الذي كان يحظى بحماية البابا، أن يخضع الإنجليز الذين كانوا بحاجة لقادة، والذين اعتادوا منذ مدة على الاحتلال والغزو. وقام كل من إدوين وموركار، كونت ميرسي ونورثنبري...»[1].

صر! تعجب الببغاء الهندي مرتعداً.

« المعذرة!»، قال الفأر بأدب جم، لكن وهو عاقد حاجبيه. «هل قلت شيئاً ما؟».

ذاك ليس أنا! أجاب ببغاء الهند بشدة.

«آه! خلتني سمعتك تتحدّث... أواصل إذاً: تحالف معه

(1) هذه الأسطر مأخوذة من كتاب (Précis d'histoire) الذي نشره عام 1848 هافيلاند شابمال (1811-1897)، وهو الكتاب الذي يدرس الأخوات ليدال.

إدوين وموركار، كونت ميرسي ونورثنبري، كما أن أسقف كانتربري، المعروف بوطنيته، ستيغاند قد وجد ذلك مناسباً...».

«وجد ماذا؟» قالت البطة.

«ارتأى ذلك جيداً» رد الفأر من دون أن يكتم غيظه. طبعاً، تعلمون ما تعنيه كلمة «ذلك».

«إني أعلم جيداً ما تعنيه عندما أجد شيئاً، قالت البطة: عموماً يكون ذلك ضفدعاً أو دودة، المسألة تتعلّق بمعرفة ما وجده الأسقف».

تظاهر الفأر بأنه لم يسمع السؤال، وتابع بحيوية: «وجد ذلك مناسباً، سعى برفقة إدغار آثلينغ إلى ملاقاة غيوّم ومنح التاج لهذا الأخير... في البداية تصرّف غيّوم بلباقة، لكن وقاحة هؤلاء النورمانديين ...» بماذا تشعرين الآن يا عزيزتي؟ قال الفأر ملتفتاً نحو أليس.

أجابت الفتاة الصغيرة بصوت حزين: «مبللة أحسن ما يكون البلل. لا يبدو أن حكايتك جففتني قيد أنملة».

قال الدودو وهو ينتصب متباهياً: «في هذه الحال، أقترح إرجاء التجمع إلى تاريخ لاحق، وأن نتبنى بدون تأخير إجراءات أكثر حرارة ذات طابع...».

قال النسر الصغير مستغرباً: «تحدث ببساطة أكبر! إني لا أفهم نصف هذه الكلمات المتحذلقة، وفوق كل ذلك، أظن أنك لا تفهمها أنت كذلك!». وأحنى النسر الصغير رأسه كي يخفي

ابتسامته، كما أن بعضاً من الطيور الأخرى أخذت تقرقر ضاحكة بوضوح. ما كنت أقصد قوله.

تابع الدودو بنبرة ملؤها المهانة: «الأفضل لنا جميعاً هو القيام بسباق التجمع المحموم».

«وما سباق التجمع المحموم؟»، سألت أليس.

لا لأنها تهتم كثيراً بمعرفة ذلك، بل لأن الدودو توقّف كما لو ظن أن على أحد قول كلمة ما، ولم يبد أن أحد الحاضرين كان مستعداً لقول شيء يذكر.

أجاب الدودو: «بكل صدق، أفضل وسيلة لشرح كيف يتم السباق، هي القيام به».

(وبما أنكم قد تحاولون القيام بذلك بأنفسكم، في يوم شتوي، سأقص عليكم كيف تصرف الدودو). في بداية الأمر تم تحديد مضمار السباق، لم يكن دائرياً تماماً («لا أهمية للشكل الدقيق»، قال). ثم توزع الحاضرون هنا وهناك على طول المضمار. لم تكن هنالك إشارة الانطلاق المعتادة: «واحد، اثنان، ثلاثة، انطلقوا!». شرع المشاركون في الركض وقتما شاؤوا وتخلوا عن السباق وفق رغبتهم، بحيث لم يكن من السهل معرفة متى انتهى. إلا أنه بعد الركض لمدة نصف ساعة تقريباً، وحينما أصبحوا جافين تماماً، أعلن الدودو فجأة: «انتهى السباق!». احتشدوا جميعاً حوله وهم يلهثون سائلين: «لكن من الفائز؟».

لم يتسن للدودو الإجابة عن هذا السؤال قبل التفكير بروية،

لذلك بقي جالساً لمدة طويلة واضعاً مخلبه على جبينه (على هذه الهيئة يُرى شكسبير، أكثر الأوقات، في اللوحات المرسومة له)، بينما الآخرون ينتظرون بصمت.

وأخيراً صرّح الدودو: «الجميع فائز، وجميعنا يستحق الحصول على الجوائز». قال الجميع بصوت واحد: «لكن من الذي سيقدم الجوائز؟».

«أقسم بأغلظ الأيمان، هي بالطبع»، قال الدودو مشيراً بمخلبه إلى أليس، وعلى الفور، وفي فوضى عارمة احتشد كل الحاضرين حول الفتاة الصغيرة وهم يصرخون: «جوائز! جوائز!».

لم يكن لأليس أدنى فكرة عما يجب فعله. وبعد استنفاد كل جهدها أدخلت يدها في جيبها وأخرجت علبة ملبّسات (لحسن الحظ أن الماء المالح لم يمسسها) ووزعتها على المتحلّقين حولها بوصفها جوائز. وقد كانت بالضبط بعدد المشاركين.

قال الفأر: «لكن، ينبغي أن تحصل بدورها على جائزة».

أقرّ الدودو بصوت رخيم: «بكل تأكيد. ماذا لديك أيضاً في جيبك؟»، تابع ملتفتاً نحو أليس.

ردّت بحزن: «لا شيء سوى كشتبان». قال الدودو آمراً: «اعطِنيه». احتشد الجميع حولها مجدداً بينما كان الدودو يسلمها الكشتبان في وقار قائلاً: «إننا نرجو منك التفضل بقبول هذا الكشتبان الأنيق»، وحينما أنهى خطابه القصير صفق كل الحاضرين.

وقد ارتأت أليس أن هذه البهرجة سخيفة جداً، لكن كان يبدو أنهم جادّون جميعهم بحيث لم تجرؤ على التهكم من هذا الفعل، وبما أنها لم تجد جواباً، اكتفت بالانحناء وأخذ الكشتبان بمظهر جدي قدر الإمكان. يجب الآن أكل الملبّسات، ولم يكن ذلك ليتم من دون إحداث بعض الضجيج والفوضى: هكذا، اشتكت الطيور الضخمة بعجزها عن التلذذ بمذاق ملبّساتها، أما الطيور الصغيرة فقد تعرضت لاختناق بحيث كان من الضروري التربيت على ظهورها. لكن المياه عادت إلى مجاريها في آخر المطاف؛ ومن جديد جلس الحاضرون في حلقة وطلبوا من الفأر أن يقصّ عليهم حكاية أخرى.

قالت أليس: «لقد وعدتني، هل تتذكر، بأن تقصّ علي حكايتك، وبأن تقول لي لِمَ تكره الق... والك...»، أضافت هامسة وهي تكاد تخشى إغاظته ثانية.

«إنها طويلة جداً وحزينة جداً! قال الفأر بتعجب وهو يتنهد وينظر نحو ذيله».

صحيح أنها طويلة جداً، قالت أليس، وهي تنظر نحو الذيل، هي الأخرى، والدهشة بادية عليها، لكن لماذا ترى أنها حزينة؟

وبينما كان الفأر يتحدّث، واصلت أليس الاستغراق في هذا الشأن، إلى حد أن الفكرة التي تكونت لديها عن الحكاية كانت أشبه بما يلي: قال «غضبان» الحانق لفأر باغته في بيته:

«اتبعني إذاً إلى المحكمة؛ لن ينفع الجدال، على هذه المحاكمة

أن تتم، إذ هذا الصباح، في الحقيقة، ليس لدي ما أفعله غير ذلك». أجاب الفأر جرو الخراش: «سيدي العزيز، إن محاكمة مثل هذه، من دون محلفين ولا قاضٍ، هي محاكمة جائرة»، «سأكون القاضي أيضاً والمحلفين، قال الغاضب المحتال، سأحدد مصيرك بهذا الحكم: الموت».

«إنك لا تصغين إليّ! فيم تفكرين؟» قال الفأر مؤاخذاً أليس بنبرة حادة.

قالت أليس بنبرة يعلوها الندم: «أرجو منك المعذرة، أعتقد أنك وصلت إلى المنحنى الخامس، أليس كذلك؟».

«لا، على الإطلاق! صرخ الفأر بنبرة حادة وغاضبة. لم أصل إلى عقدة الحكاية!».

قالت أليس، المتأهبة دوماً لتقديم المساعدة ملقية حولها نظرات متفحصة: «عقدة؟ أوه! دعني أساعدك على حلها!»

صرخ الفأر منتصباً ومبتعداً عن الفتاة الصغيرة: «لن أسمح بذلك ما حييت! إنك توجهين لي الإهانة بقولك هذه الترّهات!».

«لم أتعمد فعل ذلك!»، قالت أليس المسكينة معتذرة. «ها أنت ترى أنك تغضب لأقل شيء!».

لم يندَّ عن الفأر جواب سوى نمنمة. صرخت أليس: «عد لإتمام حكايتك!» وصاح الآخرون بصوت واحد: «أوه نعم، عد!».

لكن الفأر كان يهز رأسه من الغضب، فيما هو يسرع الخطوات مبتعداً.

«من المؤسف أنه لم يرد البقاء بصحبتنا»، قال الببغاء متحسراً حينما توارى الفأر عن الأنظار.

وقد رأت السلطعون الجدة العجوز أن عليها انتهاز الفرصة وتوجيه الحديث إلى ابنتها: «آه يا عزيزتي خذي الموعظة مما حدث ولا تعودي إلى إغضابي أبداً!».

أجابت الصغيرة ذات الملقاطين بحنق: «اصمتي يا جدة، حتى المحارة تفقد صبرها معك!».

قالت أليس بصوتٍ عالٍ، من دون توجيه الكلام إلى شخص بعينه: «كم أود أن تكون دينا بصحبتنا هنا، بكل صدق أودّ ذلك! إنها هي القادرة على إعادته إلينا بسرعة!».

قال الببغاء: «ومن هي دينا يا ترى، إذا ما سمحت لي بهذا السؤال؟».

ولأن أليس كانت دائماً مستعدة للحديث عن حيوانها المفضل لديها، أجابت بسرعة: «دينا، إنها قطتنا الصغيرة، لا مثيل لها في الإمساك بالفئران، وكم أود أن تروها وهي تطارد الطيور! أجل، إنها تلتهم طائراً صغيراً في أقل مما يتطلبه قولي ذلك».

لقد كان لهذه الكلمات وقعٌ ملحوظ على الجماعة. غادرت بعض الطيور مسرعة، وشرع عقعق عجوز يلتف حول نفسه قائلاً: «يجب عليّ العودة إلى البيت فهواء الليل يُضِرُّ بحنجرتي!»

ونادى كناري صغاره بصوت مرتعش. وبأعذار مختلفة، اختفت الحيوانات جميعها، وما لبثت أليس أن بقيت بمفردها. «أنا نادمة لأني تحدثت عن دينا»، قالت أليس بنبرة حزينة. لا

يبدو أن أحداً في هذا المكان يستلطفها، ومع ذلك أنا متأكدة من أنها أحسن قطة في العالم! أوه يا عزيزتي دينا أتساءل ما إذا كنا سنلتقي مجدداً! وبقولها لهذه الكلمات عاودت أليس البكاء، لأنها كانت تشعر بأنها وحيدة ومحبطة. ومع ذلك، بعد وقت قصير، سمعت مجدداً، ومن بعيد، وقع خطوات صغيرة مسرعة جعلتها ترفع بصرها بخفة وهي تتمنى أن يكون الفأر قد تراجع عن رأيه وعاد كي يكمل حكايته.



الفصل الرابع

الأرنب يستخدم بيل الصغير

إنه الأرنب الأبيض عاد مهرولاً وهو يلقي حوله نظرات حيرى كما لو أنه أضاع شيئاً؛ سمعته أليس يغمغم: «الدوقة! الدوقة! آه لقائمتيّ الصغيرتين المسكينتين! ويا لفروتي ولشاربيّ! سوف تأمر بشنقي، أنا متأكد من ذلك شأن تأكدي من أن النمس نمس! اللعنة! أتساءل أين أوقعتهما؟». أدركت أليس بسرعة أنه يبحث عن مروحته وقفازيه المصنوعين من جلد الجدي الأبيض، ورأت من واجبها البحث عنها بدورها. لكن لم يكن لهما أي أثر. وبدا أن كل شيء تغير منذ أن سبحت مكرهة في البركة، كما أن القاعة الكبيرة والمائدة الزجاجية والباب الصغير، اختفت كلياً.

بعد وقت قصير جداً رأى الأرنب أليس منهمكة في بحثها، ونادى عليها بصوت غاضب: «وبعد يا ماري آن! ماذا تفعلين

عندك؟ أسرعي إلى البيت وأحضري لي قفازين ومروحة! هيا بسرعة!». ارتعبت أليس إلى درجة أنها أطلقت ساقيها للريح في الاتجاه الذي أشار إليه من دون أن تظهر له الخطأ الذي وقع.

«لقد ظن أني خادمته، قالت أليس من دون أن تتوقف عن الركض. كم ستكون دهشته عظيمة حينما سيكتشف من أكون! لكن من الأفضل أن أعيد إليه مروحته وقفازيه إن استطعت العثور عليهما، على الأقل». وهي تنطق بهذه الكلمات وصلت فجأة أمام بيت صغير جميل وعلى بابه لوحة نحاسية برّاقة حُفِرَ عليها اسم القاطن: «ج. الأرنب». دخلت من دون أن تطرق الباب وصعدت السلم مسرعة مخافة أن تلتقي ماري آن الحقيقية وتطرد من البيت قبل العثور على المروحة والقفازين.

«كم يبدو مضحكاً أن نقدم خدمات لأرنب! فكرت أليس. بعد الذي حصل، أتوقع أن تبعثني دينا للتبضع هي الأخرى!». وشرعت تتخيل ما سيحدث: «الآنسة أليس، أقْبِلي على الفور لارتداء ملابسك من أجل القيام بنزهتك!»

- «أنا قادمة في الحال، آنستي! لكن ينبغي عليَّ حراسة جحر الفئران هذا إلى أن تعود دينا، لمنع الفأر من الخروج». وتابعت أليس: «لكن لا أعتقد بأننا سنحتفظ بدِينَا في البيت إذا ما باشرت إصدار أوامر على هذا النحو!». خلال ذلك وصلت إلى غرفة فائقة الترتيب وعند نافذتها وضعت مائدة، مثلما توقعت ذلك، وعلى المائدة مروحة وزوجين أو ثلاثة أزواج من القفازات مصنوعة من جلد الجدي الأبيض؛ أخذت المروحة وزوج القفازات، ولما كانت تتأهب لمغادرة الغرفة وقع نظرها على

قارورة صغيرة بمحاذاة المرآة. لم تكن القارورة تحمل هذه المرة ملصقاً كُتبت عليه عبارة «إشربني»، ورغم ذلك فتحت القارورة وقرّبتها من شفتيها وهمّت بشربها.

«أعلم أنه دائماً ما يحصل حدث ذو بال كل مرة أكلت أو شربت أي شيء كان، حدّثت نفسها، سوف أرى مفعول هذه القارورة. أتمنى أن يجعلني ذلك أكبر مجدداً. لقد سئمت بصراحة من كوني صرت مخلوقاً صغيراً للغاية، كما هو حالي في الوقت الراهن».

وكان لذلك مفعوله، بل وبأسرع مما توقعته: وما إن شربت بالكاد نصف القارورة حتى أدركت أن رأسها ينضغط مع السقف مما اضطرها للانحناء كي لا ينكسر عنقها. أعادت القارورة إلى مكانها بسرعة، قائلة: «يكفي هذا القدر... أتمنى ألا يكبر حجمي أكثر... على هذا النحو ليس في إمكاني حتى الخروج من الباب... أنا نادمة على الإسراف في الشرب!».

لكن هيهات أن ينفعها الندم! كانت تنمو بلا توقف، إلى حد أن تطلب منها الأمر الجثو على ركبتيها. دقيقة بعد ذلك، لم يعد هناك متسع لركبتيها، حاولت أن ترى إن كان وضعها أحسن بالانبطاح، واضعة مرفقها على الباب بينما ذراعها ملتفة حول رأسها.

وبما أن حجمها لم يتوقف عن النمو، أخرجت ذراعها عبر النافذة وأدخلت إحدى قدميها في المدخنة ثم قالت محدثة نفسها: «في الوقت الراهن لا أستطيع فعل أكثر من هذا مهما يكن الأمر. ما الذي سيحدث لي؟»

ولحسن حظ أليس أن القارورة العجيبة قد استنفدت مفعولها وتوقف حجمها عن النمو: ورغم كل شيء كانت غير مرتاحة، وحيث لم يبد أن لها الحظ في القدرة على الخروج ذات يوم من الغرفة الصغيرة، لم يكن من المستغرب أن تشعر بالتعاسة. «لقد كان الوضع في المنزل أحسن من هنا، فكرت المسكينة أليس؛ لم نكن نكبر أو نصغر في كل لحظة، لم يكن هناك لا أرنب ولا فئران توجه لك الأوامر بلا توقف. إني أكاد أندم على دخول هذا الجحر... ورغم ذلك... فإن نوعية الحياة التي أعيشها هنا هي غريبة جداً! أتساءل عما يكون قد وقع لي! في الوقت الذي كنت أقرأ في أثنائه خرافات الجِنِّيات، كنت أتخيل أن هذه النوعية من الأشياء لا تحدث أبداً، وها أنا أجدني في خضمها! ينبغي تدوين كتاب عني، إيه نعم! حينما أكبر، سوف أكتب واحداً... لكني الآن كبيرة بما فيه الكفاية، أضافت بصوت آسف؛ على كل حال، هنا لم يعد لي متسع كي أكبر».

«لكن حينها، فكرت أليس، هل سوف يكون لي دائماً السِّن العمري الذي لي الآن؟ من جهة، سوف يكون من الممتع أن لا أصير سيدة عجوز...لكن من جهة أخرى، وجود دروس للحفظ طوال حياتي كلها، هذا ما لن أرغب فيه قطعاً!».

«كم أنت غبية يا أليس المسكينة! أجابت نفسها، كيف ستتمكنين من حفظ الدروس هنا؟ بالكاد هناك متسع لك، وليس هناك ما يسع كتاباً مدرسياً!».

واستمرت على هذا النحو إلى وقت لا بأس به، تجري

حواراً حقيقياً مع نفسها، وهي تضع الأسئلة وتجيب عنها بالتناوب.

ثم بعد دقائق معدودة، سمعت صوتاً آتياً من خارج البيت لذلك توقفت عن التفكير للإصغاء إليه. «يا ماري آن! يا ماري آن! أحضري القفازين في الحال!»

كان الصوت يقول. ثم سمعت على السلم وقع خطوات صغيرة متسارعة. أدركت أليس أن الأرنب قادم لمعرفة ما تفعله، وأخذت ترتعد إلى حد أنها زلزلت البيت متناسية في تلك اللحظة أنها صارت أكبر ألف مرة من الأرنب، وأن لا سبب يدعوها للخوف منه. في اللحظة التالية كان الأرنب يقف خلف الباب محاولاً فتحه على مصراعيه، لكن ولأن الباب يفتح من الداخل ولأن أليس كانت تقفل الباب بمرفقها، ذهبت محاولته سدى، فسمعته أليس يغمغم: «ما دامت الأمور على هذه الحال، سألج من الجهة الخلفية للبيت عبر النافذة».

«إن كنت تعتقد ذلك، فأنت مخطئ!»، فكرت أليس.

وبعد أن انتظرت وقتاً اعتقدت بأنه كافٍ لوصول الأرنب أسفل النافذة تحديداً، بسطت يدها فجأة وقامت بحركة شبيهة بتلك التي يأتيها المرء للإمساك بشيء ما، لم تمسك بشيء، لكنها سمعت صرخة صغيرة حادة متبوعة بصوت سقطة وانقصاف زجاج متهشم، ما دفعها للاعتقاد بأن الأرنب وقع لا محالة وسط قاعدة حوض من الخيار أو شيء من هذا القبيل.

بعد ذلك علا صوت غاضب - إنه صوت الأرنب -: «بات!

بات! أين أنت؟» وتلاه صوت لم تسمع به من قبل: «أنا هنا، بالتأكيد! منهمك في جمع حبات التفاح، سيادتكم!». قال الأرنب مندهشاً من شدة الغضب: منهمك في جمع حبات التفاح.

حقاً! تعال إلى هنا! ساعدني على الخروج من هذا الشيء! (ومن جديد سُمِع انقصاف زجاج مهشم).

- والآن يا «بات»، ما الذي يظهر في النافذة؟

- بالتأكيد إنه ذراع، سيادتكم.



- ذراع، أيها الغبي! هل سبق لك رؤية ذراع بهذا الحجم؟

- يا إلهي، إنها تسد النافذة تماماً!

- بكل تأكيد هي تسد النافذة، سيادتكم! لكنها ذراع رغم ذلك.

- على أي حال، لا ينبغي لها أن تكون هناك: هيا، أزلها!

بعد هذا الحوار، عمّ صمت طويل، كانت تخدشه بين الفينة والأخرى بعض الوشوشات المبهمة، من قبيل: «بالتأكيد، لا أود ذلك، أبداً، أبداً، سيادتكم»، «افعل ما أمرتك به أيها الجبان!». وأخيراً، بَسَطَت أليس يدها من جديد، وعاودت حركة من يريد إمساك شيء ما. هذه المرة، سُمِعَت صرختان صغيرتان تلاهما انقصاف الزجاج المتهشم.

«يا لكثرة أحواض الخيار عندهم!» فكرت أليس.

«أتساءل عما سيقدمون عليه في الوقت الراهن! في ما يخص إخراجي عبر النافذة، أتمنى فقط أن يتوصلوا إلى فعل ذلك! أنا متيقنة من أني لا أريد البقاء هنا لمدة أطول!».

بقيت أليس متيقظة لبعض الوقت من دون أن يصل إلى سمعها أي صوت؛ وأخيراً سمعت دوياً شبيهاً بما تحدثه عجلات عربة صغيرة وجلبة عدد لا يحصى من الأفواه التي تتكلم في وقت واحد. وقد تبينت الجمل التالية: «أين السُّلَّم الآخر؟»

- مهما يكن، لم أستطع حمل سوى سلم واحد؛ إن بيل هو من لديه الآخر:

- بيل، أحضره إلى هنا، يا فتى! ثبتاهما في هذا الركن.

- لا، ينبغي أولاً ربطهما معاً؛ إنهما لا يصلان إلى منتصف العلو المطلوب.

- أوه، سوف يتم ذاك هكذا، لا تصعب الأمور.

- هيا، أمسك هذا الحبل يا بيل!

- هل سيتحمل السقف ثقله؟

- حذار من ذلك اللوح الذي انفصل عن مكانه! فات الأوان، إنه يتدحرج! حذار يا من في الأسفل! (تهشم مدوٍّ) «من الذي تسبب في ذلك؟»

- أظن أنه بيل. من الذي سوف ينزل إلى المدخنة؟ أنا لن أقوم بذلك! اذهب أنت! إذا كان الأمر هكذا، لن أذهب بدوري! إن بيل هو من عليه النزول. هل سمعت يا بيل؟ السيد يقول بأن عليك النزول داخل المدخنة! قالت أليس: «هكذا إذاً، سينزل بيل من مجرى المدخنة، أليس كذلك؟ يا إلهي وكأن كل الأعمال الشاقة هي من نصيب بيل التعيس! لن أكون مكان بيل ولو أُعْطيتُ كنوز الدنيا: صحيح أن هذه المدخنة ضيقة، لكن أظن أن لدي متسعاً كافياً كي أستطيع تسديد ركلة قوية! سحبت قدمها من المدخنة بقدر ما استطاعت ولم تصدر عنها أدنى حركة إلى أن سمعت حيواناً صغيراً (لم تَدْرِ أي نوع من الحيوان هو) يتسلق جدران المجرى فوقها بالضبط؛ حينها، وهي تقول: «ها هو بيل»، سدّدت ركلة قوية بقدمها وأصاخت السمع لمعرفة ما سيحدث عقب ذلك.

في بادئ الأمر سمعت مجموعة أصوات تصرخ معاً: ها هو

بيل يطير! ثم صوت الأرنب بمفرده : «تلقفوه يا من أنتم هناك قرب الحاجز العشبي!»

ثم ساد الصمت، وأعقب ذلك مجدداً ضجيج أصوات مبهمة: «ارفعوا رأسه. آتوني الآن بماء عطر لإفاقته. لا تخنقوه. كيف حدث ذلك يا صديقي؟ ماذا حلَّ بك؟ حدثنا عن كل ذلك!».

وأخيراً سُمع صوتٌ صغيرٌ واهنٌ وحادٌّ (إنه بيل، خمنت أليس). «لَعَمْرِي، لا أدري... لا، شكراً، لقد أخذت كفايتي... أشعر بأني أحسن الآن... ولكني ما أزال مبلبلاً كي أحكي لكم... كل ما أعرفه، ذلك أن شيئاً ما هوَى عَلَيَّ مثل العفريت الذي يخرج من قمقمه، فوجدتني أطير في الهواء مثل صاروخ!».

- هذا ما فعلته يا صديقي! صاح الآخرون معاً.

- يجب إحراق البيت! قال صوت الأرنب. عندها، صرخت أليس بملء رئتيها: إذا فعلتم ذلك سلَّطت عليكم دينا!

وعقب ذلك، عم صمت رهيب، ثم فكرت: «أتساءل ما الذي سيلفّقونه في الوقت الراهن؟ لو كانت لديهم ذرة من التفكير السليم، لأزالوا السقف».

بعد دقيقة أو دقيقتين عادوا إلى جلبتهم، وسمعت أليس الأرنب يقول: «تكفي نقالة واحدة في البداية».

«نقالة ماذا؟» تساءلت أليس. لكنها لم تتساءل طويلاً إذ في اللحظة التالية أخذ وابل من الحجارة يرشق النافذة فيما أصابها بعض منها في وجهها.

«سوف أضع حدّاً لهذه اللعبة»، حدثت نفسها ثم صرخت: «لمصلحتكم، أحذركم من مغبة معاودة ذلك».

عمَّ من جديد صمت رهيب. لاحظت أليس بكثير من الدهشة أن الحجارة تتحول في اللحظة التي تسقط فيها على الأرض إلى قطع صغيرة من الحلوى، وخطرت ببالها فكرة نيِّرة: «إذا أكلتُ واحدة منها أكيد أن ذلك سيغير من حجمي، إما أصير أطول أو أقصر، وما دام من غير الممكن أن أصبح أطول مما أنا عليه الآن، أفترض أن التهامها سيجعلني أصغر».

ابتلعت إذن قطعة حلوى، وكم كانت مسرورة حينما لاحظت أن حجمها أخذ في التقلص بسرعة. وما إن أصبحت صغيرة بالقدر الذي يسمح لها بعبور الباب حتى خرجت من البيت جرياً، ورأت حشداً من الحيوانات الصغيرة تنتظر في الخارج.

كان بيل، السحلية، المسكين الصغير، وسط الجمع يستند إلى خنزيرين من خنازير الهند البرية كانا يشربانه ما في القارورة من دواء. هرع الجميع نحو أليس في اللحظة التي ظهرت فيها. لكنها أطلقت ساقيها للريح هاربة لتجد نفسها بعد قليل في أمان وسط غابة كثيفة الأشجار.

«أول شيء يجب فعله هو أن أستعيد حجمي العادي، قالت محدثة نفسها وهي تتجول في أنحاء الغابة؛ وثاني شيء هو الاهتداء إلى الطريق الذي يؤدي إلى الحديقة الغنّاء. أعتقد أنه يجب علي التمسك بهذه الخطة الجيدة».

وبدا أنها كانت تلك خطة رائعة، بسيطة ودقيقة في الآن

نفسه. تكمن الصعوبة الوحيدة في أن أليس لا تملك أدنى فكرة عن كيفية تطبيقها، وبينما هي تتفحّص بقلق كثافة الأشجار سُمِعَ نباح صغير وحاد فوق رأسها تماماً جعلها ترفع ناظريها بسرعة.

جرو ضخم ينظر نحوها بعينيه الكبيرتين المدوَّرتين ويمد إليها بخجل قائمته محاولاً لمسها بها. «يا للحيوان الصغير المسكين!»، قالت أليس بصوت كله لطف، وهي تحاول جاهدة التصفير له، لكنها كانت مرتعبة من فكرة أن يكون جائعاً، إذ في هذه الحال قد يقدم على افتراسها رغم كل ملاطفاتها.

ومن دون إدراك منها لِمَا هي مُقْدِمَة عليه، التقطت طرف عصا صغيرة وناولت الجرو إياه، وعقب ذلك قفز الكلب الصغير في الهواء بقوائمه الأربع مطلقاً نباحاً فرحاً، وهرع إلى طرف العصا متظاهراً بتقطيعه إلى أجزاء صغيرة، فارتمت أليس خلف نباتات شوكية كي لا يدهسها الكلب، لكن في تلك اللحظة التي همَّت فيها على الاختفاء، هرع الجرو مجدداً نحو طرف العصا، وفي تسرعه للانقضاض عليه انقلب إلى الخلف من حيث لا يريد، حينذاك اختفت أليس التي خالت نفسها تلاعب حصان الحرث، خلف الأشواك وكانت تتوقع أن يدهسها في أي لحظة.

وبعد ذلك، قام الجرو بمهاجمة طرف العصا عدّة مرّات، كان يقوم، وهو يركض، بخطوات إلى الوراء أكثر من تلك التي يقوم بها إلى الأمام ولا يتوقف عن إصدار نباح أجش إلى أن ذهب في حال سبيله في نهاية المطاف وهو يلهث ولسانه مدلّى، فيما عيناه الكبيرتان شبه مغمضتين، ثم جلس على مسافة بعيدة من أليس.

وبدا لأليس أنها الفرصة المواتية التي لا ينبغي التفريط فيها للهروب، وانطلقت راكضة بلا انتظار إلى أن انقطعت أنفاسها وأصبح نباح الكلب بالكاد يُسْمَعُ من بعيد.

«ومع ذلك، يا له من جرو لطيف! قالت أليس وهي تستند، كي تستريح، إلى نبتة بُرْعُمِ الذهب وتروِّح عن نفسها بإحدى ورقاتها. كم تمنيت أن أعلمه بعض الحركات لو كانت لدي القامة التي تسمح بذلك! أوه! يا إلهي! لقد كدت أنسى أنه يجب عليَّ استرجاع حجمي الطبيعي! لنر كيف نقوم بذلك! أفترض أن عليَّ أكل أو شرب شيء ما، لكن السؤال الأهم هو: أي شيء؟».

السؤال الأهم كان بلا ريب: أي شيء؟ نظرت أليس إلى ما حولها من أزهار وأعشاب، من دون أن تقف على ما قد يبدو أنه الشيء الذي ينبغي أكله أو شربه، بالنظر إلى الظروف التي توجد فيها. غير بعيد منها كان ينبت في الأرض فطر كبير بحجمها تقريباً؛ وعندما نظرت إلى وجه الفطر السفلي، وخلفه وإلى جانبيه، عنَّت لها فكرة النظر إلى ما يوجد على وجهه العُلْوِيّ. وقفت على أطراف أصابعها وألقت نظرة متفحصة نحو حافة الفطر، التقى نظرها مباشرة بنظر دودة قز ضخمة زرقاء، جالسة على قمة الفطر متصالبة الذراعين، تدخن بهدوء نارجيلة طويلة من دون إعارة أدنى انتباه لأليس أو لأي كان.



الفصل الخامس

نصائح دودة القز

نظر كل من أليس ودودة القز إلى بعضهما للحظات في صمت، في الأخير قامت دودة القز بإزاحة النارجيلة من فمها وقالت بصوت متكاسل ومتثاقل موجهة الكلام لأليس: - من أنت؟ سألتها. لم تكن تلك بداية حوار مشجعة.

أجابت أليس بغير قليل من الحرج: «أنا... لا أدري يا سيدتي، على الأقل في الوقت الراهن... على الأقل، أعرف ما كُنْتُهُ عندما استيقظت هذا الصباح، لكن أظن أني تحولت عدّة مرَّات منذ ذلك الحين».

«ماذا تقصدين بذلك؟»، سألت دودة القز بنبرة صارمة. أوضحي قولك!

«أخشى يا سيدتي أن لا أستطيع توضيح ذلك، لأني لست نفسي، إذا كنت تفهمين قصدي!».

قالت دودة القز معترضة: «قطعاً لا، لا أرى ما ترمين إليه».

أجابت أليس بأدب جمّ: «أخشى أن لا أستطيع شرح ذلك بالوضوح اللازم. أولاً، أنا لا أفهم بنفسي ما يحدث لي، ثم أن يتحول حجم المرء كل ذلك القدر خلال يوم واحد، فهذا ما قد يُذْهِبُ عقله».

«أمر لا يصدق!»، قالت دودة القز باستغراب.

«ربما لم يتسن لك إدراك ذلك حتى الآن، واصلت أليس؛ لكن حينما ستصبحين مرغمة على التحول إلى خادرة اليرقة - تعلمين أنه سيحدث لك ذلك يوماً ما، - ثم إلى فراشة، أفترض أن ذلك قد يبدو لك غريباً بعض الشيء، ألا تعتقدين ذلك؟».

«لا، على الإطلاق» أجابت دودة القز.

«عجباً، من الممكن أن لا يكون له عليكِ ذلك المفعول، قالت أليس، لكن كل ما أعرفه، هو أن ذلك يبدو لي أنا غريباً للغاية».

«يبدو لك أنت! قالت دودة القز بنبرة ازدراء. لكن، من تكونين، أنت؟».

عاد بهما هذا السؤال إلى بداية حوارهما. لانزعاجها قليلاً من الخشونة التي حدثتها بها دودة القز، انتصبت أليس بكل قامتها وقالت بنبرة رسمية: «أظن أنه يجب عليك أنت أولاً أن تقولي من أنت.»

«لماذا يا ترى؟»، أجابت دودة القز.

كان السؤال محرجاً جداً، وحيث إن أليس لم تستطع تقديم

سبب وجيه، وبما أن مزاج دودة القز كان معكراً، استدارت أليس مبتعدة عنها.

صرخت دودة القز: «عودي! لدي شيء مهم أسرّه إليك!». بدا من المؤكد أن ذلك يبشر بوعود كثيرة. استدارت أليس من جديد عائدة إلى حيث كانت.

«هدئي من روعك»، قالت دودة القز.

«هذا كل شيء؟»، قالت أليس وهي تحاول ما في وسعها أن تكظم غيظها.

«لا»، أجابت دودة القز.

فكرت أليس أن تنتظر أيضاً هذا المرّة، ما دامت لا تملك فعل أي شيء آخر، وربما بعد كل شيء، سوف تقول لها دودة القز شيئاً يستحق الإصغاء.

خلال بضع دقائق، دخنت دودة القز من دون أن تنبس ببنت شفة، ثم في الأخير، بسطت ذراعيها، أزاحت النارجيلة عن فمها وقالت: «تعتقدين أنه تم تغييرك، أليس كذلك؟».

قالت أليس: «أخشى ذلك بالفعل، يا سيدتي، لم أعد أتذكر الأشياء كما في السابق... كما لا أحافظ على الحجم نفسه لعشر دقائق متتالية».

«ما هي الأشياء التي لا تستطيعين تذكرها؟».

«حسناً، حاولت استظهار: انظروا كم إن النحلة...، لكن ذلك خرج مخالفاً لما هو عليه الأمر في الحقيقة!»، أجابت أليس بصوت حزين.

«أنشدي لي: أنت عجوز، أيها الأب وليام...»، أمرتها دودة القز.

شبكت أليس يديها وشرعت تغني:

«أنت عجوز، أيها الأب وليام، قال الفتى وصار شعرك شديد البياض؛ ومع ذلك لا تزال تمشي على رأسك هل ذلك معقول، حقاً، في سنك؟».

«في سِني شبابي، أجاب الأب وليام ابنه، كنت أخشى أن يُتْلِفَ ذلك دماغي؛ لكني الآن، متيقن من أن لا دماغ لدي، أستطيع إذن، مواصلة هذا التمرين، مرّات ومرّات.»

«أنت عجوز، قال الفتى، مثلما أسلفت، وقد صرتَ ضخماً على نحو مهول؛ ورغم ذلك، تَعْبُر الباب بقفزة خلفية خطرة- أرجوك، ما السبب في كل ذلك؟».

«في سني شبابي، قال المبجّل، وهو يرفع خصلات شعره الرمادية، حافظت على لياقة أطرافي بفضل مفعول هذا المرهم: العلبة بشيلينغ واحد؛ اسمح لي أن أبيعك علبتين منه».

«أنت عجوز، قال الفتى، وفكّاكَ لا يقويان على ما هو أكثر من الزبدة؛ ورغم ذلك أكلت الإوزة، بمنقارها وعظامها- أرجوك، كيف نجحت في فعل كل ذلك؟».

«في سني شبابي، قال الأب، امتهنت القانون، وأظهرت بالحجة كل شؤون الحياة، رفقة زوجتي؛ فالقوة العضلية التي اكتسبها فكاي على هذا النحو، دامت طوال حياتي».

«أنت عجوز، قال الفتى، ولا أحد قد يفترض أن بصرك سليم

كما في سابق عهدك؛ ورغم ذلك، على أرنبة أنفك، يستقيم سِلَّوْر متوازناً- ما الذي جعلك بكل تلك المهارة؟».

«لقد أجبتُ عن ثلاث أسئلة، وهذا يكفي، قال الأب، لا داعي للتفاخر! أتظن أني أقوى على سماع مثل هذه السخافات كل يوم؟ انصرف! وإلا دحرجتك على السلالم بقدمي!».

«هذا ليس كل ما هنالك»، نبهتها دودة القز.

«أخشى أنه ليس ذلك إطلاقاً»، قالت أليس بخجل.

«هناك كلمات تم تبديلها». «بل منحولة من أولها إلى آخرها»، صرّحت دودة القز بنبرة لا تستدعي جواباً، وعمّ الصمت لبضع دقائق.

بادرت دودة القز باستئناف الحديث. «وما الحجم الذي ترغبينه؟».

«أوه! لستُ متطلبة كثيراً في ما يخص الحجم، أجابت أليس بحرارة. ما لا أحبه، هو أنه يتغير مراراً، هل ترين حقا ما أقصده؟».

«لا، لا أرى حقاً»، أجابت دودة القز.

بقيت أليس مشدوهة، طوال حياتها لم يسبق أن تمت معارضتها على ذلك النحو. شعرت بأن صبرها بدأ ينفد.

سألتها دودة القز: «هل أنت راضية على حجمك الحالي؟».

أجابت أليس: «ما لم تري في ذلك مانعاً، أود أن أصير أكبر بقليل مما أنا عليه الآن، ثمانية سنتمترات طولاً، إنها حقاً قامة قصيرة جداً».

أما عني أنا، فأجدها قامة مناسبة جداً، أجابتها دودة القز بنبرة غاضبة وهي تنتصب بكل طولها (الذي يبلغ ثمانية سنتمترات بالضبط).

«لكني لست معتادة عليها!»، قالت أليس بصوت يثير الشفقة، بغية الاعتذار. ثم فكرت: «كم أود ألا تغضب هذه المخلوقات بتلك السهولة!».

«سوف تعتادين عليها مع المدة»، قالت دودة القز؛ بعد ذلك، أعادت النارجيلة إلى فمها وشرعت في التدخين مجدداً.

هذه المرة انتظرت أليس بصبر أن تعاود محدثتها الكلام. بعد انقضاء دقيقة أو دقيقتين، أزاحت دودة القز النارجيلة من فمها، تثاءبت مرة أو مرتين وانتفضت. ثم نزلت من الفطر واندست في العشب مثل أي زاحفة، بعد أن قالت في ما يشبه الوداع هذه الكلمات فقط: «أحد الجانبين سيجعلك أطول، والجانب الآخر يجعلك أقصر».

«أحد جانبي ماذا؟ الجانب الآخر من (ماذا)»؟، تساءلت أليس محدثة نفسها.

«الفطر» قالت دودة القز كما لو أن أليس طرحت سؤالها بصوت مسموع، وبعد ذلك اختفت عن الأنظار. وبقيت أليس لمدة دقيقة تنظر بتفكر إلى الفطر محاولة تحديد موقع الجانبين؛ وبما أنه كان مستديراً بالكامل بدا لها أن المسألة مستعصية على الحل. ورغم ذلك، في آخر المطاف اهتدت إلى بسط ذراعيها أبعد ما يكون حول محيط الفطر.

«والآن، أيهما الأصلح؟» تساءلت أليس وهي تقضم جزءاً من القطعة التي كانت تمسك بيدها اليمنى لاختبار مفعولها، وفي اللحظة التالية شعرت بضربة قوية على أسفل ذقنها، لقد اصطدم ذقنها بقدمها! ارتعبت بعض الشيء لهذا التحول المباغت، لكنها أدركت ضرورة عدم هدر الوقت لأنها كانت تتقلّص بسرعة. لذلك عقدت العزم على قضم جزء من القطعة الأخرى. لقد كان ذقنها مضغوطاً بشدة على قدمها بحيث لم يعد هناك متسع كي تفتح فمها، لكن في الأخير تمكنت من ذلك واستطاعت بنجاح ابتلاع جزء من القطعة التي كانت تمسك بيدها اليسرى.

* * *

«وأخيراً خلّصتُ رأسي!»، قالت أليس وقد بدت عليها علامات الفرح الذي تحول إلى فزع في اللحظة التي أعقبت ذلك عندما انتبهت إلى أن كتفيها اختفيا عن الأنظار: كل ما كانت تراه حينما تلقي بنظرها إلى الأسفل، كان عبارة عن عنق يفوق طوله كل وصف، يشبه ساقاً عملاقة برزت وسط محيط من الأوراق الخضر المترامية بعيداً، في أسفلها.

«ما كل هذه الخضرة يا ترى؟» تساءلت أليس، وكتفايَ، أين اختفيا؟ ويا حسرة على يديّ المسكينتين، ما الذي حدث حتى لم أعد أراكما؟ كانت تحركهما وهي تتكلم، لكن من دون نتيجة، اللهم اهتزاز بسيط في ثنايا الأوراق الخضراء البعيدة. وعندما تيقنت أن لا طائل من وصول يديها إلى غاية رأسها، حاولت خفض رأسها للوصول إلى يديها، وكم كانت فرحتها عظيمة عندما لاحظت أن عنقها يستطيع الالتواء في جميع الاتجاهات كالثعبان.

كانت بالكاد قد نجحت في توجيهه نحو الأسفل وذلك بجعله يتخذ شكل خط متكسر رائع، ولما كانت توشك على إدخال رأسها في الأوراق الكثيفة والتي اكتشفت أنها ليست سوى قمم الأشجار التي كانت تتجول تحتها قبل ذلك بلحظات، سمعت صفيراً حادّاً جعلها تتراجع إلى الخلف بسرعة: حمامة ضخمة أصابتها بطرفي جناحيها مباشرة على وجهها بكل قوة.

«ثعبان!»، صاحت الحمامة.

أجابت أليس بغضب: «لستُ ثعباناً، دعيني وشأني!».

«ثعبان، أكرر ذلك!»، تابعت الحمامة، لكن بصوت هادئ هذه المرة. ثم أضافت في ما يشبه النحيب: «لقد جرَّبت كل شيء، لكن لا يبدو أن شيئاً يرضيها».

«ليست لدي أية فكرة عما تقولينه»، قالت أليس.

«لقد جرَّبتُ جذور الأشجار، جرّبت المنحدرات، جربت حواجز العشب، واصلت الحمامة، من دون أن تنتبه لأليس. لكن، عجباً لهذه الثعابين، من المستحيل إرضاؤها!».

احتارت أليس أكثر فأكثر؛ ومع ذلك قدَّرت أن من غير المجدي النطق بكلمة إضافية ما لم تنه الحمامة كلامها. «كما لو أن ليس عندي من المتاعب ما يكفيني في حضن البيض، واصلت الحمامة كي تضاف إليها هذه الثعابين التي جعلتني في حالة تأهب، لعَمري، لم أغمض عيني ولو لثانية طوال الأسابيع الثلاثة الماضية!».

قالت أليس التي بدأت تفهم ما ترمي إليه الحمامة: «أنا آسفة لكونك تعيشين كل هذه المشاكل».

لكن الحمامة تابعت وهي ترفع صوتها حد الصراخ: «بعد أن اخترتُ أعلى شجرة في الغابة، وبعد أن اعتقدت بأني تخلصتُ أخيراً منها، ها هي الثعابين المخادعة اللعينة تتساقط عليّ من السماء! إذا كان الأمر كذلك، فأنت ثعبان قذر!»

احتجَّت أليس: «لقد قلتُ إني لست ثعباناً! أنا...أنا...».

قالت الحمامة: «هيا إذاً، من أنت؟ أرى مليًّا أنك تحاولين اختلاق شيء ما!».

«أنا... أنا فتاة صغيرة»، قالت أليس بصوت متلعثم، لأنها كانت تتذكر كل تلك التحولات التي شهدتها في هذا اليوم.

«كم يبدو ذلك مقبولاً! قالت الحمامة مندهشة وبنبرة كلها ازدراء. لقد رأيت كثيراً من الفتيات طوال حياتي، لكن ولا واحدة منهن كان لها عنق مماثل! بتاتاً، بتاتاً! إنك ثعبان، لا داعي للإنكار. أفترض أنك سوف تدّعين الآن بأنه لم يسبق لك تذوق طعم البيض!»

قالت أليس وهي الفتاة الصريحة: «لقد تذوّقت طعم البيض. بالطبع، في ما يخص البيض، فإنه ليس للفتيات الصغيرات ما يغبطن عليه الثعابين».

«أنا لا أصدِّق كلمة مما تقولين، قالت الحمامة. لكن، إن كان الأمر صحيحاً، إذاً، فالفتيات الصغيرات لسن سوى صنف من الثعابين، هذا كل ما أستطيع قوله».

كانت تلك فكرة جديدة بالنسبة إلى أليس، إذ عجزت عن الكلام لدقيقة أو دقيقتين، ما سمح للحمامة بالاسترسال: «إنك تبحثين عن البيض، أعلم ذلك جيداً، وفي هذه الأحوال، سواء عندي أكنت فتاة صغيرة أو ثعباناً!»

سارعت أليس إلى القول: «أما أنا فذلك يعني لي الشيء الكثير، كما أنني لا أبحث عن البيض، ولو أردت فعل ذلك، فلن أحتاج إلى بيضك النيء».

«أغربي عن وجهي إذاً!»، قالت الحمامة بنبرة تبّرم وعادت لتستقر مجدداً في عشها.

جلست أليس بين الأشجار بعد عناء كبير لأن عنقها كان يلتف باستمرار بالأغصان، وفي كل لحظة كان عليها التوقف لتخليصه منها، وبعد مرور بعض الوقت تذكرت أنها لا تزال تمسك بيديها قطعتي الفطر الاثنتين، وبحذر شديد شرعت في قضم كل منهما على التوالي، فكانت تصير أكثر طولاً أحياناً، وأقصر أحياناً أخرى، إلى أن نجحت في استرجاع قامتها العادية.

لقد مرَّ وقت طويل لم تقارب فيه أليس تلك القامة العادية إلى حد أنها شعرت في البدء بإحساس غريب، ولكنها اعتادت الأمر بعد ذلك بلحظات وأخذت تحدّث نفسها كما جرت العادة:

«هوذا، لقد نجحت نصف خطتي حتى الآن! كم إن هذه التحولات تحيّرني، بين لحظة وأخرى لا أعرف ما سأصير عليه! على أي حال، لقد استعدت قامتي العادية؛ الهدف التالي هو الدخول إلى الحديقة الغناء. أتساءل كيف السبيل لتحقيق ذلك؟»

وهي تحدث نفسها بذلك، وصلت فجأة إلى فرجة فسيحة في الغابة فيها بيت صغير يبلغ طوله نحو متر وعشرين سنتمتراً. «كيفما كان من يسكن في البيت فلا داعي لأن أقدم له نفسي وأنا بهذا الطول، حتماً سيموت فزعاً!»، وعاودت قضم قطعة من الفطر التي كانت تمسكها بيدها اليمنى ولم تغامر بالاقتراب من البيت الصغير إلا بعدما تقلص طولها إلى عشرين سنتمتراً.



الفصل السادس

خنزير وفلفل

ظلت ترنو إلى البيت لدقيقة أو دقيقتين، متسائلة عما ستفعله، عندما خرج فجأة خادم بلباس رسمي وهو يركض من ناحية الغابة، (اعتقدت بأنه خادم بالنظر إلى لباسه، أما من خلال وجهه فقد كان أقرب إلى سمكة) وطرق الباب بإصبعه الملتوي طرقاً قوياً. فُتِحَ الباب من طرف خادم آخر بلباس رسمي، له وجه مستدير وعينا ضفدع واسعتان؛ لاحظت أليس أن رأس كلا الخادمين كان مكسواً بشعر مجعد يعلوه مسحوق. وقد أثارها الفضول بشدة لمعرفة ما يحدث، لذا تسللت قليلاً خارج الغابة للإنصات. بادر الخادم السمكة وسحب من تحت إبطه رسالة ضخمة تكاد تكون بحجمه، ثم ناولها لزميله وهو يقول بنبرة وقار: «إنها للدوقة، دعوة من الملكة لحضور لعبة الكروكيت».

رد الخادم الضفدع بنبرة الوقار ذاتها لكن مع تبديل ترتيب

الكلمات نوعاً ما: «من الملكة، دعوة لحضور لعبة الكروكيت، للدوقة». ثم انحنيا معاً نحو الأرض حتى تشابكت خصلات شَعْرِ كل منهما.

ضحكت أليس بشدة من هذا العرض إلى حد أنها كانت مرغمة على العود إلى الغابة راكضة خشيةَ أن يتم سماعها؛ وحينما جازفت من جديد بإلقاء نظرة كان الخادم السمكة قد رحل، أما الآخر فكان يجلس على الأرض قرب الباب، ويحدّق في السماء والبلاهة بادية عليه.

اقتربت أليس بخجل من البيت وطرقت الباب. «لا داعي للطرق، قال الخادم، وذلك لسببين. الأول هو أني أوجد وإياك على الجانب نفسه من الباب؛ والثاني هو وجود جلبة كبيرة في الداخل حيث لن يسمعك أحد».

وبالفعل، كان هناك ضجيج مهول يتردد في أركان البيت: جلبة متواصلة من الصراخ والعطس، يتخللها بين الفينة والأخرى تحطم هائل كما لو أنه يتم تكسير صحن أو قِدْر إلى ألف شظية. «في هذه الحال، قالت أليس، هل في الإمكان، أرجوك، أن تشير علي بما يجب فعله كي أدخل؟».

«ربما سوف يكون من المعقول قرع الباب إذا كان هذا الأخير بيننا، واصل الخادم من دون أن يهتم لما قالته أليس. مثلاً، لو كنتِ في الداخل تستطيعين الطرق، وأنا أستطيع إخراجك».

لم يتوقف عن النظر نحو السماء وهو يتكلم، وقد اعتبرت أليس ذلك تصرفاً وقحاً. وبعد كل شيء، ربما لا يستطيع فعل

غير ذلك؛ عيناه قريبتان جدا من قمة رأسه. لكن، على الأقل، يستطيع الإجابة عن الأسئلة التي توجه إليه.

«ما الذي يجب علي فعله للدخول؟» قالت ثانية بصوتٍ عالٍ.

«سوف أظل جالساً هنا حتى الغد...»، قال الخادم.

في تلك اللحظة فُتِحَ باب البيت وطار صحن كبير في اتجاه رأس الخادم تماماً: لحسن الحظ أنه حاذى أنفه وتابع مساره كي يتهشم إلى ألف قطعة بعد أن صدم إحدى الشجيرات الموجودة خلفه. «أو ربما بعد غد»، واصل بالنبرة ذاتها، بالضبط كما لو لم يحدث أي شيء. «ما الذي يجب علي فعله للدخول؟»، سألت أليس وهي ترفع صوتها.

«هل من الواجب حقاً أن تدخلي؟»، ردّ عليها. هذا هو أول سؤال يجب وضعه.

إلا أن أليس لم تكن تستحسن أن تُخاطَب على ذلك النحو، ليس في ذلك شك. «إن الطريقة التي تتحدث بها هذه المخلوقات لا تحتمل بحق، قالت هامسة، إنه أمر يصيب بالجنون!». واعتقد الخادم أن الوقت حان لتكرار ملاحظته بصيغ عدة:

«سوف أظل جالساً هنا بلا كلل ولا ملل»، قال طوال أيام وأيام. «لكن، وأنا، ماذا علي فعله؟» سألت أليس.

«ما تشائين»، قال وأخذ يُصَفِّر.

«أوه! لا فائدة من التحدث إليه! صاحت أليس بعد نفاد صبرها: إنه معتوه تماماً».

عقب ذلك، فتحت أليس الباب ودخلت البيت. كان الباب يؤدي مباشرة إلى مطبخ واسع الأرجاء امتلأ بالدخان؛ كانت الدوقة تجلس وسط الغرفة على كرسي ذي ثلاث قوائم، وهي منهمكة في هدهدة رضيع، وكانت الطاهية منكبة على النار تحرك محتوى مِرْجَل ضخم كان يبدو أنه مليء بالحساء.

«أكيد أن في هذا الحساء الكثير من الفلفل!»، قالت أليس لنفسها وهي تتنفس بصعوبة بسبب العطس.

من المؤكد أنه كان هنالك الكثير من الفلفل في الأرجاء. كانت الدوقة تعطس بين الفينة والأخرى، وكان الرضيع يعطس ويبكي على التوالي بلا توقف. أما من لم يعطس في المطبخ فهما الطاهية وقط ضخم كان مستلقياً أمام المدفئة وهو يبتسم ملء شدقيه.

«من فضلكِ، سيدتي، سألت أليس بخجل، لأنها لم تكن متأكدة من أن المبادرة إلى الكلام هي من باب الأدب: هلا قلت لي لماذا يبتسم قطك بتلك الطريقة؟».

«إنه قط الشيشاير، هذا هو السبب، أجابت الدوقة. خنزير!». نطقت هذه الكلمة الأخيرة بعنف مباغت مما جعل أليس ترتعب؛ لكن في اللحظة التالية، أدركت أن الكلمة كانت موجهة للرضيع، وليس لها. لذلك استعادت ثقتها بنفسها ثم واصلت: - لم أكن أعلم أن قطط الشيشاير تبتسم طوال الوقت، وفي الحقيقة لم أكن أعلم أن القطط تستطيع الابتسام.

قالت الدوقة: جميعها تستطيع ذلك، وغالبيتها لا تحرم نفسها منه.

«لم أكن أعلم أنه يوجد في العالم قط واحد يمتلك هذه القدرة»، قالت أليس بأدب جمّ، وهي مسرورة لكونها استطاعت تبادل الحديث مع شخص ما.

«الظاهر أنك لا تعلمين شيئاً يذكر»، قالت الدوقة.

لم تستحسن أليس النبرة التي طبعت تلك الملاحظة، لذلك فكرت أن من الأحسن تغيير مجرى الحديث، وبينما هي تبحث عن موضوع آخر إذا بالطاهية تزيح المرجل من على النار وشرعت في قذف ما تقع عليه يدها في اتجاه الدوقة والرضيع. بادئ الأمر قذفت المغرفة والملاقط وسيخ منفض الجمر، ثم مجموعة من المقالي والأطباق والصحون. لم تكن الدوقة تحترس من هذه الأشياء حتى عندما كانت تصيبها؛ أما الرضيع فقد كان يصرخ بقوة قبل هذه الفوضى بحيث لم يكن من السهل معرفة ما إذا كانت الضربات التي تصيبه، تؤلمه أم لا.

«أوه! أرجوك، انتبهي لما تفعلين!»، صاحت أليس وهي تقفز من مكانها وتكاد تموت من الهلع في الوقت الذي كانت فيه مقلاة من حجم غير عادي تلامس في مرماها أنف الرضيع البارز وكادت تودي به.

«لو اهتم كل امرئ بما يعنيه لكان العالم يسير بأسرع مما هو عليه»، قالت الدوقة متذمرة، بصوت أجش.

- «وهذا لن ينفعنا في شيء»، قالت أليس فرحة بإظهار ما تيسر لها من معارف. «فَكِّرِي في الفوضى التي ستحدث جرّاء ذلك على تعاقب الليل والنهار! كما تعلمين، الأرض تدور حول

نفسها باستمرار على مدار أربع وعشرين ساعة...».

- في ما يخص الفأس، جُزِّي رأسه إذاً، قالت الدوقة. ألقت نظرة قلقة نحو الطاهية لرؤية ما إذا كانت سوف تطيع الأمر حرفيّاً، لكنها كانت منهمكة في تحريك الحساء، ولم يبد أنها سمعت.

جازفت أليس إذاً مسترسلة: - على الأقل، يبدو لي أنها أربع وعشرون ساعة، أم هل هي اثنتا عشرة ساعة؟

- أف! لا تزعجيني بأرقامك! صاحت الدوقة، لم أعد أتحمل الأرقام قط! وبعد قولها ذلك أخذت تهدهد طفلها مجدداً، وتغني له ما يشبه أنشودة لتنويمه وهي ترجّه بعنف عند نهاية كل شطر:

«حدّثي طفلك بلطف، واضربيه حينما يعطس:

فهو يفعل ذلك فحسب لأنه شقي ولأنه يعلم أن ذلك يقتلنا»

الجوقة (التي لحقت بها الطاهية والرضيع):

«هووو! هووو! هووو!».

وطوال كل الوقت الذي كانت فيه الدوقة تنشد المقطع الثاني من الأغنية، لم تتوقف عن هز الرضيع بعنف من أسفل إلى أعلى، وكان الصغير المسكين يصرخ بشدة إلى حد أن أليس لم تتبين الكلمات جيداً:

«إني أحدث طفلي المشاغب بخشونة، أضربه حينما يعطس؛

إذ قد يحب الفلفل تماماً ذاك الذي أحشوه في منخاريه».

الجوقة: «هووو! هووو! هووو!».

«خذيه! تستطيعين هدهدته بعض الشيء لو كان ذلك يروق

لك! قالت الدوقة لأليس وهي تقذف بالطفل نحوها وكأنها ترمي رزمة. عليَّ الاستعداد لمباراة الكروكيت مع الملكة». ثم خرجت مسرعة من الغرفة. عندها قذفت الطاهية بمقلاة في إثرها في اللحظة التي كانت تجتاز فيها الباب، ولم تصبها، بأعجوبة. تلقفت أليس الطفل بصعوبة كبيرة، لأنه كان مخلوقاً صغيراً غريب الشكل يمدد ذراعيه وساقيه في كل الاتجاهات، «بالضبط مثل نجم البحر»، فكرت أليس. وعندما حملته بين ذراعيها كان الصغير يزفر مثل آلة بخارية ولا يتوقف عن الالتواء مثل دودة، بحيث إنها لم تصنع شيئاً خلال الدقيقتين التاليتين سوى منعه من السقوط. وحالما وجدت الوسيلة المثلى للتحكم فيه (أي بجعله على شاكلة عقدة، ثم مسكه بحزم من الأذن اليمنى والرجل اليسرى لمنعه من الإفلات) خرجت به إلى الهواء الطلق. «إذا لم آخذ هذا الطفل معي، فكَّرتْ، فإنهما سوف تهلكانه لا محالة ها هنا يوماً ما؛ وإنها لجريمة حقيقية أن أتركه هنا». نطقت هذه الكلمات الأخيرة بصوت عالٍ، وأطلق الرضيع على سبيل الجواب نخيراً (لقد كفَّ الآن عن العطس).

«لا تنخر، قالت أليس، هذه طريقة غير مهذّبة في الكلام».

نخر الرضيع مرة ثانية، فنظرت إلى وجهه بقلق وهي تتساءل ما الذي ينقصه. لقد كان لديه بكل تأكيد أنف خانس، مثني إلى الأعلى كثيراً هو أقرب إلى فنطيسة الخنزير منه إلى أنف حقيقي، من جهة أخرى صارت عيناه أصغر بكثير من عينيّ رضيع. وعلى العموم، كان مظهر هذا الرضيع يُنَفِّر أليس كثيراً. «ربما نحيبه هو ما يجعله مشوهاً على ذلك النحو»، فكرت، وفحصت عينيه عن

قرب كي ترى إن كانتا تدمعان. لا، لم تكونا كذلك.

«إذا كنت على وشك التحول إلى خنزير، يا عزيزي، قالت أليس بنبرة جادة، فلن يكون لي بك أي صلة. انتبه لكلامي!»

أخذ المسكين الصغير ينتحب بشدة من جديد (أو لعله ينخر، إذ كان من المستحيل الجزم بأنه يقوم بهذا الفعل أو ذاك)، وطفقا يمشيان لبعض الوقت من دون أن ينبسا ببنت شفة. كانت أليس على وشك التساؤل تحديداً: «ماذا تراني فاعلة بهذا المخلوق إن عدت به إلى البيت؟»، حينها شرع الصغير ينخر بشدة مجدداً، بحيث نظرت أليس إلى وجهه مذعورة. هذه المرة لم يكن من مجال للشك: لقد كان خنزيراً بحق ذاك الذي تراه عيناها، وأدركت أن من العبث الاستمرار في حمله بين ذراعيها أبعد من ذلك.

أنزلت المخلوق الصغير من بين ذراعيها وشعرت ببعض الارتياح لمّا رأته يعدو على مهل ويلجُ الغابة. (لو قُيِّضَ له أن يكبر لأصبح طفلاً قبيحاً ببشاعة؛ «لكنني أرى أن لدينا خنزيراً ظريفاً بما فيه الكفاية»، (وأخذت تفكر في بقية الأطفال من معارفها الذين كان الإمكان أن يصيروا خنازير ظرفاء، وكانت غارقة في التفكير: «حبذا لو تيسر لنا معرفة كيفية تحويلهم...» عندها، ارتعبت شيئاً ما وهي ترى قط الشيشاير جاثماً فوق غصن شجرة على بعد بضعة أمتار منها.

اكتفى القط بالتبسم لما رأى أليس. وقدّرت أليس أن له طابعاً جذاباً؛ ومع ذلك كانت لديه مخالب طويلة جدّاً وعدد كبير من

الأسنان؛ لذا وجدت أن من الواجب معاملته باحترام.

«يا قطيط الشيشاير»، شرعت تقول بخشية لأنها لا تعرف إن كان الاسم سيروق له. لكن القط اكتفى بابتسامة عريضة. «هيا، إنه راضٍ حتى الآن!» فكرت أليس التي تابعت قائلة: «ألا تكرَّمت، من فضلك، وقلت لي أي طريق أسلك للرحيل عن هذا المكان؟»

- إن ذلك يعتمد على المكان الذي تودين الذهاب إليه، أجابها القط.

- لا يهم المكان...، قالت أليس.

- في هذه الحال، لا يهم الطريق الذي ستسلكين، أجابها.

- حسبي أن أصلَ إلى مكان ما، أضافت أليس على سبيل التفسير.

- أكيد أنك سوف تصلين إلى مكان ما، إن أنتِ مشيتِ مدة أطول بما يكفي.

أدركت أليس أن الأمر لا يقبل الجدل؛ ونتيجة لذلك، جرَّبت سؤالاً آخر: - ما هي نوعية الناس الذين سألاقيهم في هذه الأنحاء؟

- في هذا الاتجاه يعيش صانع القبعات، أجاب القط مشيراً بحركة مبهمة من قائمته اليمنى؛ وفي ذلك الاتجاه، قال متابعاً بحركة من قائمتهِ اليسرى، يعيش أرنب مارس الوحشي. يمكنك، متى شئت، زيارة هذا أو ذاك، كلاهما مجنون.

- لكنني لا أريد الذهاب عند المجانين، ردّت أليس.

- لن تستطيعي تجنب ذلك، قال القط، هنا الجميع مجانين، أنا مجنون وأنت مجنونة.

- كيف عرفت أنني مجنونة؟ سألت أليس.

- ثقي بأنك كذلك، وإلا لما أتيتِ إلى هنا.

واعتبرت أليس أن ذلك ليس دليلاً كافياً، لكنها واصلت: وكيف عرفت بأنك مجنون؟

- بداية، قال القط، هل توافقينني القول بأن الكلب ليس مجنوناً؟

- لا شك في ذلك.

- إذاً، واصل القط، سوف تلاحظين أن الكلب يَهِرُّ مكشراً عن أنيابه عند الغضب، ويحرك ذيله عند الفرح. أما أنا، فإني أهِرُّ عندما أكون فرحاً، وأحرك ذيلي عندما أكون غاضباً. إذن، أنا مجنون.

- أنا أسمِّي ذلك خرخرة وليس هرهرة، قالت أليس معترضة.

- سمِّ ذلك ما شئت، قال القط، هل ستلعبين الكروكيت عند الملكة هذه الظهيرة؟

- سوف يسعدني ذلك، لكن لم تتم دعوتي إلى الآن، أجابت أليس.

- سوف تجدينني هناك، قال القط ثم اختفى.

لم تندهش أليس للأمر كثيراً. لأنها بدأت تعتاد على وقوع أكثر الأحداث غرابة، وبما أنها كانت تنظر إلى المكان الذي وجد

فيه القط، إذا به يظهر من جديد.

«بالمناسبة، ماذا حلَّ بالرضيع؟ كدت أنسى أن أسألك عنه».

قالت أليس بكل ما أوتيت من رباطة جأش، كما لو أن ظهور القط المفاجئ أمر عادي: لقد صار خنزيراً.

قال القط: كنت موقناً من ذلك، ثم اختفى من جديد.

انتظرت أليس لبعض الوقت وهي تأمل مشاهدة ظهوره من جديد، إلا أنه لم يظهر، وبعد انقضاء دقيقة أو دقيقتين، اتجهتْ نحو المكان الذي قيل لها بأنها ستجد عنده أرنب مارس الوحشي.

قالت: لقد سبق لي رؤية بعض صانعي القبعات، سيكون أرنب مارس الأكثر إثارةً من بين الاثنين، وما دمنا في شهر مايو (أيار) ربما لن يكون مهتاجاً حد الجنون... أو ربما أقل جنوناً مما كان عليه في شهر مارس(آذار).

وبينما هي تنطق بهذه الكلمات، نظرت إلى الأعلى وها هي ترى من جديد القط جالساً على غصن شجرة.

«هل قلت: خنزير... أم... جنزير...؟» سألها القط.

قلت... خنزير، أجابته أليس؛ كم أود أن تتوقف عن الظهور والاختفاء بغتة: إن ذلك يصيبني بالدوار!

- حسناً، قال القط، ثم اختفى هذه المرة ببطء شديد، بداية بطرف الذيل وانتهاء بالابتسامة التي بقيت لبعض الوقت بعدما اختفى سائر أعضائه.

- لعمري، فكرت أليس، غالباً ما شاهدت قطاً من دون

ابتسامة، لكنني لم ألحظ قَطُّ ابتسامة من دون قِط! وهذا أغرب شيء رأيته طوال حياتي! ولم تكد تقطع مسافة طويلة حتى وصلت أمام بيت الأرنب الوحشي، وخمنت أنه البيت الذي تبحث عنه لأن المدخنتين كانتا على شكل أذنين، وسقفه مفروشاً بالفراء. كان البيت ضخماً جداً، حيث ارتأت أليس ألا تقترب منه إلا بعد قضمها لقطعة إضافية من الفطر كانت بيدها اليسرى، وهكذا صارت قامتها بطول نحو ستين سنتمتراً. ومع ذلك، واصلت سيرها بخجل ظاهر وهي تحدث نفسها: ماذا لو كان مهتاجاً إلى حد الجنون، بعد كل شيء؟ إني أكاد أتحسر على عدم الذهاب لرؤية صانع القبعات!.



الفصل السابع

شاي عند المجانين

في ظل شجرة، أمام البيت، وضعت مائدة حولها جلس أرنب مارس الوحشي وصانع القبعات يتناولان الشاي؛ وبينهما كان هنالك قرقدن يغط في سبات عميق. وكان الرفيقان يسندان مرفقيهما على النائم وكأنه وسادة ويتحدثان من فوق رأسه. فكرت أليس: «إن ذلك متعب بالنسبة إلى القرقدن، لكن مادام ينام، أفترض أنه لا يبالي بذلك».

كانت المائدة كبيرة لكن الضيوف الثلاثة كانوا محشورين في إحدى زواياها الأربع الواحد لصق الآخر.

«ليس هناك من مكان! ليس هناك من مكان!»، صرخوا محاولين صرف أليس فور اقترابها منهم.

«هناك متسع في المكان، بل ما يزيد على الحاجة أيضاً»،

أجابت أليس بتذمر وهي تجلس على أريكة واسعة عند أحد أطراف المائدة.

«تفضّلي قليلاً من النبيذ»، عرض عليها أرنب مارس بنبرة مشجعة.

جالت أليس بنظرها حول المائدة، لكنها لم تلحظ سوى كؤوس من الشاي. «لا أرى نبيذاً هنا»، نبهته أليس.

- لا نبيذ هناك، قال أرنب مارس.

- في هذه الحال، ليس لطفاً منك أن تقدمه لي، أجابته أليس بنبرة غاضبة.

- ليس لطفاً منك الجلوس من دون دعوتك لذلك، ردَّ عليها أرنب مارس.

- لم أكن أعلم أنها مائدتكما، أجابت أليس؛ إنها وضعت لأكثر من ثلاثة أشخاص.

- أنتِ في حاجة ماسة لقَصَّة شعر، وكانت هذه أولى الكلمات التي تلفّظ بها صانع القبعات، مرت لحظات ولم يتوقف عن التحديق في أليس بفضول كبير.

- لا ينبغي لك توجيه ملاحظات شخصية، ففي ذلك وقاحة كبيرة، ردَّت أليس بنبرة صارمة جداً.

- عند سماعه لتلك الكلمات فغر صانع القبعات فاه، إلاَّ أنه اكتفى بالسؤال: «لماذا يشبه الغراب العقاب؟»

- جميل جدّاً، سوف نستمتع الآن! أنا مسرورة لأننا شرعنا

في وضع الألغاز، فكرت أليس. أعتقد أنني أستطيع فك هذا اللغز، أضافت بصوتٍ عالٍ.

- هل تقصدين بذلك أنك تستطيعين العثور على الجواب؟ سأل أرنب مارس الوحشي.

- تماماً.

- في هذه الحال، ينبغي لك قول ما تفكرين فيه.

- وهذا ما أقوم به، أجابت أليس بسرعة. على الأقل... على الأقل أفكر في ما أقول... وهو الشيء نفسه، أليس كذلك؟

- ليس كذلك على الإطلاق! صاح صانع القبعات. وكأنك تقولين: أرى ما آكله... وآكل ما أرى هو الشيء نفسه.

- وكأنك تقولين، تابع أرنب مارس: أحب ما لديَّ ولديَّ ما أحب هو الشيء نفسه.

- وكأنك تقولين، تابع القرقدن (الذي يبدو أنه كان يتكلم أثناء نومه): أتنفس عندما أنام وأنام عندما أتنفس هو الشيء نفسه.

- إنه الشيء نفسه بالنسبة إليك، قال صانع القبعات للقرقدن.

عند ذلك توقف الحديث ولزم الجمع الصغير الصمت لمدة دقيقة، بينما كانت أليس تستعرض في ذهنها كل ما يمكنها تذكره عن الغربان والعقبان، ولم يكن ما تذكره شيئاً ذا أهمية. كان صانع القبعات أول من خرق الصمت.

«في أي يوم من الشهر نحن اليوم؟»، سأل وهو يلتفت نحو

أليس، ثم أخرج ساعته من جيب صدريته وأخذ ينظر إليها بقلق ويحركها ثم يدنيها من أذنيه بين الفينة والأخرى.

فكرت أليس للحظة ثم أجابت: اليوم الرابع.

قال صانع القبعات: «إنها تتأخر بيومين!» ثم تنهد وأضاف: «لقد سبق وقلتُ لك بأن الزبدة لا تصلح للحركة!»، فيما نظراته تتطاير شرراً نحو أرنب مارس الوحشي.

قال الأرنب الوحشي مدافعاً عن نفسه بكل تواضع: لقد كانت زبدة من أجود الأنواع.

زمجر صانع القبعات: «أجل، لكننا أدخلنا فيها فتاتاً من الخبز. لم يكن عليك وضع الزبدة فيها بسكين الخبز».

أمسك أرنب مارس الوحشي ساعة الجيب ونظر إليها بحزن، ثم غمسها في فنجان الشاي الذي له ونظر إليها من جديد؛ لكنه لم يجد أحسن من تكرار ملاحظته الأولى: «لقد كانت من أجود الأنواع، صدِّقني».

صاحت أليس التي نظرت من فوق رأسه بفضول: «يا لها من ساعة جيب غريبة! إنها تشير إلى أيام الشهر ولا تشير إلى ساعات اليوم!».

- ولماذا ستشير إلى الساعات؟ همس صانع القبعات. هل ساعتك أنت تشير إلى السنة التي نحن فيها؟

- بالطبع لا، أجابت أليس من دون أي تردد؛ لكن لأنها تبقى في السنة نفسها لمدة طويلة جداً.

- وهذه بالضبط هي حال ساعتي أنا، قال بائع القبعات.

شعرت أليس بأنها مرتبكة بصورة مرعبة. بدا أن ملاحظة صانع القبعات لا معنى لها. ورغم ذلك كانت سليمة نحويّاً.

«إنني لم أستوعب جيداً»، قالت بكل ما استطاعت من تأدب.

- عجباً، لقد نام القرقدن من جديد، قال صانع القبعات منبهاً، ثم سكب قليلاً من الشاي في خطمه.

حرَّك القرقدن رأسه بنفاد صبر، ثم غمغم من دون أن يفتح عينيه: «بالطبع، بالطبع، هذا ما كنت أنوي قوله بالضبط».

- هل وجدتِ حلاً للغز؟، قال صانع القبعات ثانية وهو يلتفت نحو أليس.

- لا، إني أعلن فشلي، ما هو الحل؟ أجابت أليس.

- ليست لدي أي فكرة عن ذلك، أقر صانع القبعات.

- ولا أنا، قال أرنب مارس الوحشي.

تنفست أليس الصعداء من الضجر. «أرى أن من الأفضل لكما تدبير وقتكما على نحو أفضل بدل هدره في وضع ألغاز لا تملكان لها جواباً».

قال صانع القبعات: «لو كنت تعلمين ما الوقت مثلما أعرفه أنا، لما تحدثت عنه بوصفه شيئاً. إن الوقت كائن حي».

- لا أفهم ما تريد قوله، أجابت أليس.

- بطبيعة الحال، صاح وهو يرجع رأسه إلى الخلف والازدراء بادٍ عليه. أفترض أنك لم تتحدثي قط إلى الوقت!

- ربما لا، أجابت بحذر. كل ما أعلمه، هو أن علي ضرب كل الأزمان (الألحان) حينما أتلقى درس الموسيقى.

- آه! هذا يفسر كل شيء. إن الوقت لا يتحمل الضرب. لو أنك بقيت على علاقة جيدة به، لأرغم الساعات على فعل كل ما ترغبين فيه، تقريباً. مثلاً، لو افترضنا أن الساعة الآن تشير إلى التاسعة صباحاً. - ساعة بدء يومك المدرسي - لتطلَّب ذلك قول كلمة واحدة للوقت وسرعان ما يقوم العقرب بالدوران حول المينا في طرفة عين! فإذا هي الساعة الواحدة والنصف، وقت الغذاء!.

- آه لو كان ذلك صحيحاً! همس أرنب مارس الوحشي.

- بالتأكيد سيكون أمراً رائعاً، قالت أليس بنبرة تأمُّل، لكن، كما هو معروف، لن أكون جائعة بما يكفي كي أتناول الطعام.

- ربما لا، في البدء، قال صانع القبعات؛ لكن تستطيعين جعل الساعة متوقفة عند الواحدة والنصف أطول مدة تريدين.

- هل تتصرف على هذا النحو بدورك؟ سألته أليس.

حرَّك صانع القبعات رأسه بحزن دلالة على النفي وأجاب: للأسف، لا! لقد تشاجرت مع الوقت في شهر مارس(آذار) الماضي، قبل أن يمس ذاك الجنون (وأشار بملعقة الشاي لأرنب مارس الوحشي)، حصل ذلك أثناء الحفل الضخم الذي أقامته ملكة الكبة وكان عليّ الغناء:

«تلألأ، تلألأ أيها الخفَّاش الصغير!

ما أعجب قدومك هاهنا!»

- أفترض أنك تعرفين هذه الأغنية؟

- سمعت شيئاً من هذا القبيل، أجابت أليس.

- ومثلما هو معروف، فإن تتمتها كما يلي، قال صانع القبعات مواصلاً:

«بعيداً في أعالي الدنيا تطير،

مثل صينية شاي في السماء،

تلألأ، تلألأ-»

- هاهنا انتفض القرقدن وطفق يغني وهو نائم: «تلألأ، تلألأ، تلألأ، تلألأ»، وتابع لمدة طويلة جدّاً إلى حد أنهما قرصوه لإسكاته.

قال صانع القبعات: «وما إن أنهيت المقطع الأول حتى قفزت الملكة من مكانها وأخذت تصرخ: سفّاح! لقد جاء إلى هنا بقصد اغتيال الوقت! فليقطع رأسه!»

قالت أليس بتعجب: يا للقسوة الفظيعة!

- ومنذ ذلك الحين، تابع صانع القبعات بنبرة حزينة، يرفض الوقت تنفيذ ما أطلبه منه. والساعة تشير دوماً إلى السادسة.

لمعت فكرة نيِّرة في ذهن أليس وقالت متسائلة: ألهذا السبب امتلأت المائدة بكل هذه الفناجين والصحون الصغيرة؟

قال صانع القبعات بحسرة: أجل، هو ذاك، فالساعة توافق دوماً فترة تناول الشاي، ولا وقت لدينا لغسل الأواني.

- إذاً، أفترض أنكم تدورون حول المائدة على الدوام؟

- تماماً، كلما اتسخت الفناجين.

- لكن، ما الذي يحدث عندما تعودان للفناجين الأولى؟ جازفت أليس مستفسرة.

قال أرنب مارس الوحشي متثائباً: ماذا لو غيرنا موضوع الحديث، لقد تعبت من كل هذا. أقترح أن تقصَّ علينا الفتاة الصغيرة حكاية.

قالت أليس بشيء من الحيرة: أخشى أنني لا أعرف ولا واحدة.

- إذاً، سيقص علينا القرقدن واحدة! هيا! استيقظ أيها القرقدن، صرخا معاً وهما يقرصانه من كل جانب في الآن نفسه.

فتح القرقدن عينيه على مهل وقال بصوت خفيض وأبح: «لم أكن نائماً، لقد سمعت كل كلمة تلفظتم بها».

أمره أرنب مارس الوحشي: قصَّ علينا حكاية!

قالت أليس بإلحاح: أجل، أرجوك!.

- واحرص على الإسراع، وإلا فإنك ستنام مجدداً قبل الانتهاء، أضاف صانع القبعات.

شرع القرقدن في الحكي مسرعاً: كان يا ما كان، كان هناك ثلاث أخوات، أسماؤهن على التوالي: إلزي، ولاسي وتيلي، وكن تعشن في قعر بئر...

- وعلى ماذا كنَّ يتغذَّين؟ سألت أليس التي كانت تثيرها كثيراً المسائل المتعلقة بالأكل والشرب.

قال القرقدن بعد شيء من التفكير: لقد كنَّ يتغذَّين على ثفل قصب السكر.

أشارت أليس بلطف: ولكن، لم يكن بإمكانهن أن يقتتن على ذلك وإلاً لأصابهن المرض.

أجاب القرقدن: بالضبط، لقد كن مريضات، مريضات جدّاً.

حاولت أليس تخيّل ما قد يكون عليه نمط حياة عجيب على ذلك النحو. وكان أمراً محيِراً بالنسبة إليها وفضًلت مواصلة الحديث قائلة: لكن، لماذا كن يعشن في قعر البئر؟ - خذي قليلاً من الشاي، قال لها أرنب مارس بكل جدية ممكنة.

- لم أتناول شيئاً، أجابته بنبرة انزعاج. لا أستطيع تناول شيء إضافي.

- تقصدين أنه لا يمكنك تناول شيء ما أقل، نَبَّهَها صانع القبعات؛ لكن من السهل جدّاً أخذ أكثر من لا شيء.

- لم يطلب أحد رأيك، ردًت عليه أليس.

- من الذي يُقْدِم على تلميحات شخصية، الآن؟ سأل صانع القبعات بنبرة المنتصر.

لم تعرف أليس بما سوف تجيب. لذلك تناولت شيئاً من الشاي والخبز المدهون بالزبدة، ثم التفتت نحو القرقدن وأعادت سؤالها: لماذا كن يعشن في قعر بئر؟

ومن جديد فكًر القرقدن قرابة دقيقة أو دقيقتين ثم قال: كانت بئراً لثفل قصب السكر.

صرخت أليس بغضب شديد: لا وجود لبئر من هذا القبيل!

لكن صانع القبعات وأرنب مارس قالا بصوت آمر:

«اصمتي! اصمتي!»، ونبّهها القرقدن بنبرة عابسة: «إذا تعذّر عليك أن تكوني مهذبة، فمن الأجدى لك إنهاء الحكاية بنفسك».

قالت أليس بتواضع شديد: لا، تابع من فضلك! لن أقاطعك أبداً. بعد كل شيء، ربما هناك بئر من ذلك النوع، بئر واحدة على الأقل.

- واحدة، بحق! صاح القرقدن بنبرة ساخطة. ومع ذلك وافق على المواصلة: إذاً، كما ترون، الأخوات الصغيرات الثلاث تَعَلَّمْنَ استخراج...

- استخراج ماذا؟ سألت أليس متناسية ما تعهدت به.

- ثفل قصب السكر، قال القرقدن من دون أن يأخذ منه ذلك وقتاً للتفكير، هذه المرة.

- أريد فنجاناً نظيفاً، قاطعه صانع القبعات. لنغير جميعنا مكاننا قُدُماً. تقدم وهو يتحدث، وتبعه القرقدن. وأخذ أرنب مارس المكان الذي تركه القرقدن، وأخذت أليس، على مضض، مكان أرنب مارس. وكان صانع القبعات هو المستفيد الوحيد من تغيير الأماكن ذاك؛ ووجدت أليس نفسها في وضع أسوأ من سابقه لأن أرنب مارس هرق للتو وعاء الحليب في صحنها. ورغبة منها في عدم مضايقة القرقدن مجدداً، شرعت أليس بحذر شديد في القول: لم أستوعب جيداً، من أين كانت تستخرج ثفل السكر؟

أجابها صانع القبعات: مثلما يتم استخراج الماء من بئر للماء، أظن أن في الإمكان استخراج ثفل قصب السكر من بئر لثفل قصب السكر، أليس كذلك أيتها الغبية المسكينة؟

قالت أليس متظاهرة بعدم سماع ما تفوّه به صانع القبعات: لكنها كانت في قعر البئر.

أجاب القرقدن: بكل تأكيد كانت هناك، بل وفي القعر تماماً.

أربك الجواب أليس إلى درجة أنها تركت القرقدن يتحدث بعض الوقت من دون التفكير في مقاطعته.

واصل القرقدن متثائباً وهو يفرك عينيه، لأن النوم كان يغالبه: لقد كنَّ يتعلمن الرسم أيضاً، كن يرسمن أشياء متنوعة... كل ما يبتدئ بحرف الميم... في تلك الأثناء أغمض القرقدن عينيه وشرع في النوم، لكن عندما قرصه صانع القبعات استفاق مطلقاً صرخة احتجاج صغيرة ثم تابع: ...ما يبتدئ بحرف الميم مثل مقلاع، منسّق، مميّز، مدّة، هل تعرفين أننا نقول عن أحداث ماضية أنها وقعت منذ مدَّة، هل سبق ورأيت رسماً يمثل المدة؟

أقرَّت أليس التي لم تعد تدرك ما أصابها: في الحقيقة، الآن وبعد أن سألتني عنه، لا أظن...

- في هذه الحال، عليك التزام الصمت، قال لها صانع القبعات.

لكن أليس لم تكن قادرة على تحمل مثل هذه الوقاحة. ومن فرط الاشمئزاز قامت من مكانها مبتعدة. غطَّ القرقدن فوراً في نوم عميق، ولم يعر أيٌّ من الاثنين انتباهاً لانصراف أليس التي التفتت مرَّتين أو ثلاث مرَّات يحدوها الأمل في أن يناديا عليها. وفي المرّة الأخيرة التي شاهدتهما فيها كانا يحاولان إدخال القرقدن

بالقوة في إبريق الشاي. صرَّحت أليس وهي تسير برزانة وسط الغابة: «على كل حال، لن أعود إلى هذه الديار مهما كانت الظروف! لعمري، إنها جلسة شاي لا تطاق، لم يسبق لي حضور مثلها طوال حياتي!».

وبينما كانت تتفوه بتلك الكلمات إذا بها تلاحظ أنه يوجد في إحدى الشجرات باب يسمح بالولوج إلى داخلها. «إنه لأمر غريب جدّاً، فكرت، ولكن كل شيء غريب اليوم، أعتقد أن من الأفضل بالنسبة إليَّ الدخول». فدخلتْ. من جديد وجدت نفسها في القاعة الطويلة، قرب المائدة الزجاجية الصغيرة.

«هذه المرة سوف أتصرَّف بطريقة أفضل»، قالت محدثة نفسها.

بدأت أولاً بتناول المفتاح الذهبي الصغير ثم استعماله لفتح الباب المؤدي إلى حديقة. ثم شرعت تقضم قطعة الفطر التي احتفظت بها في جيبها، إلى أن تقلّصت قامتها إلى نحو ثلاثين سنتمتراً، ثم جاوزت الممر، وأخيراً وجدت نفسها وسط بساط من الأزهار ذات الألوان الزاهية والسواقي المنعشة.



الفصل الثامن

ملعب الكروكيت الخاص بالملكة

قرب مدخل الحديقة انتصبت شجرة الورد؛ كانت الورود التي تغطيها بيضاً، لكن ثلاثة بستانيين كانوا منهمكين في صبغها بالأحمر. أسرَّت أليس إلى نفسها بأن ذلك تصرف غريب، ثم اقتربت كي تشاهدهم وهم يعملون. وحينما وصلت بمحاذاتهم سمعت واحداً من بينهم يقول متعجباً: «انتبه إذاً أيها الخمسة! لا تلطخني بالصباغة هكذا!».

«لم أفعل ذلك متعمداً، أجابه الآخر بنبرة تذمر، إن السبعة هو من دفع مرفقي».

عند سماع ذلك رفع السبعة عينيه وقال: «أهنئك، أيها الخمسة! كالعادة، تدَّعي أن غيرك هو المخطئ!»

أجاب الخمسة: أنت، من الأفضل لك أن تصمت، البارحة

فقط سمعت الملكة تقول إنك تستحق أن يُقطع رأسك!

- لماذا ذلك؟ سأل من بدأ الحديث.

أجاب السبعة: ذلك، ذلك ليس من شأنك!

واصل الخمسة: «عفواً، بل إن ذلك من شأنه! وسوف أجيبه لماذا: لأن السبعة أحضر بصل التوليب بدل البصل».

رمى السبعة ريشته على الأرض، وما كاد يقول: أكيد، من شدة الظلم... إذا بنظره يقع بالصدفة على أليس التي كانت تراقبهم. توقف عن الكلام فجأة. التفت الآخران وانحنى الثلاثة احتراماً للفتاة الصغيرة. سألت أليس بشيء من الحرج: ألا تفضلتم وأخبرتموني لماذا تصبغون هذه الورود؟ بقي الخمسة والسبعة صامتين والتفتا نحو الاثنين الذي بادر بصوت خفيض:

«في الحقيقة، كما ترين يا آنستي، لقد كان مخططاً لشجرة الورد هذه أن تُزْهِرَ وروداً حمراً لكننا زرعنا بطريق الخطأ شجرة ورودها بيضاً. وإذا فطنت الملكة لذلك فإنه سيتم قطع رأس كل واحد منا بكل تأكيد. لذلك، كما ترين يا آنستي، نقوم بكل ما في وسعنا قبل أن تمر، كي...». في تلك اللحظة، صرخ الخمسة الذي كان يراقب أقصى الحديقة منذ مدة بشيء من التوجس: «الملكة! الملكة!». ارتمى البستانيون الثلاثة على الأرض منبطحين. سُمِعَ صوت بدا أنه وقع أقدام عدد كبير من الأشخاص، عندها التفتت أليس التي كانت تتحرَّق شوقاً لرؤية الملكة.

في البدء قَدِمَ عشرة جنود يحملون صولجانات لها شكل أس النفل (البستوني)؛ لقد كان جميع الجنود مثل البستانيين الثلاثة،

مسطَّحين ومستطيلين، وكانت أيديهم وأرجلهم مثبتة إلى زواياهم الأربع. وكان يليهم بعد ذلك عشرة من رجال الحاشية وقد تزيّنوا بثياب موشّاة بالألماس الذي كان على شكل أس المربع (الديناري) ويمشون مثنى مثنى شأن الجنود. يتبعهم الأطفال الملكيون؛ كان عددهم عشرة كذلك، وكان هؤلاء الأعزاء يمشون أزواجاً أزواجاً، يداً بيد وهم يتقافزون بمرح: كانوا مزينين بقلوب من رؤوسهم إلى أخامص أقدامهم. تبعهم بعد ذلك المدعوون، وهم ملكات وملوك في غالبيتهم. تعرفت أليس من بينهم على الأرنب الأبيض: كان يتكلم بتوجس وبسرعة ويبتسم لكل ما يقال. ثم مرَّ بالقرب من أليس ولم ينتبه إلى وجودها. تبعهم بعد ذلك صبيُّ الكبة يحمل تاج الملكة على وسادة من القطيفة القرمزية. وفي آخر الموكب الفخم، جاء ملك وملكة الكبة.

تساءلت أليس ما إذا كان عليها أن تخرَّ ساجدة أمامهم، وجهها إلى الأرض، مثلما فعل البستانيون الثلاثة، لكنها لم تستطع تذكر أنها سمعت من ذي قبل أن العادة جرت بذلك عند مرور موكب ما. «علاوة على ذلك، ما فائدة أي موكب إذا كان على كل واحد أن يخرّ ساجداً أمامه، ووجهه إلى الأرض، ما يحجب عنه رؤيته؟»، فكرت أليس. لذلك بقيت جامدة في مكانها وظلت تنتظر.

حينما وصلت الشخصيات المكونة للموكب بمحاذاة أليس، توقف الجميع للنظر إليها، فسألت الملكة بنبرة صارمة: «من تكون تلك؟». كان كلامها موجهاً إلى صبي الكُبّة الذي لم يجد من جواب سوى الانحناء مبتسماً.

«أيها الأبله!» صاحت الملكة وهي ترد رأسها إلى الخلف بعد نفاد صبر، ثم تابعت وهي تلتفت صوب أليس: «ما اسمك يا بنيتي؟».

أجابت الفتاة الصغيرة بأدب جمّ: «أليس يا صاحبة الجلالة»، لكنها أضافت محدثة نفسها: «بعد كل شيء، هؤلاء الناس ليسوا سوى أوراق لعب. وليس علي أن أخافهم».

- ومن هؤلاء؟، سألت الملكة مشيرة إلى البستانيين الثلاثة المستلقين حول الشجرة؛ إذ كما هو معلوم، كانوا منبطحين، وجوههم إلى الأرض وبما أن الرسم على ظهورهم هو الرسم نفسه الموجود على باقي أوراق اللعب، لم يكن بمقدورها معرفة هل كانوا بستانيين أم رجال الحاشية أم ثلاثة من أبنائها هي.

- كيف لي أن أعرف؟ أجابت أليس التي أدهشتها شجاعتها تلك. هذا ليس شأني أنا.

تورَّد وجه الملكة من شدة الغضب، وبعد أن حدَّقت في الفتاة الصغيرة بشراسة مثل وحش مفترس، أخذت تصرخ: فليُقطع رأسها! فليُقطع رأسها! يا لها من حماقة!

تعجّبت أليس بصوت حاد وحازم، ثم صمتت الملكة. لمس الملك ذراعها بيده وهمس بخجل قائلاً: «تريّثي قليلاً يا صديقتي العزيزة، إنها ليست سوى طفلة!».

أشاحت بوجهها عنه بغضب وأمرت الصبي: «اقلبهم على وجوههم!». استعمل الصبي طرف قدمه لقلبهم برفق.

«انهضوا!»، صرخت الملكة بصوت حاد متذمر. انتصب

البستانيون الثلاثة في الحال دفعة واحدة وشرعوا في الانحناء للملك وللملكة وللأطفال الملكيين ولكل شخصيات الموكب. «توقفوا! قالت بصوت آمر، إنكم تسبّبون لي الدُّوار». ثم تابعت بعد أن التفتت صوب شجرة الورد: ماذا كنتم تصنعون هناك؟

- عفوك يا جلالة الملكة، أجاب رقم اثنين بصوت كلّه خنوع واضعاً ركبته على الأرض، كنا نحاول...

- «لقد فهمتُ!» قاطعته الملكة التي كانت قد تفحصت الورود. «فلتقطع رؤوسهم!». تحرك الموكب مجدداً وانفصل عنه ثلاثة جنود لإعدام البستانيين التعساء الذين هرعوا صوب أليس للاستجارة بها. «لا أريد أن تقطع رؤوسهم!»، صاحت أليس وهي تضعهم داخل مزهرية كبيرة كانت بالقرب منها. بَحَثَ الجنود الثلاثة عنهم في كل الاتجاهات طوال دقيقة أو دقيقتين، ثم ذهبوا إلى حال سبيلهم بهدوء للالتحاق بالموكب.

- «هل قطعت رؤوسهم؟» صاحت الملكة.

- «لقد فقدوا رؤوسهم بحق، بعد إذنك يا صاحبة الجلالة».

- «جميل! زعقت الملكة. هل تجيدين لعبة الكروكيت؟».

لاذ الجنود بصمتهم ونظروا نحو أليس لأن السؤال كان مُوَجَّهاً إليها.

- «أجل!»، زعقت أليس.

- «إقبلي إذاً!»، صاحت بها الملكة.

انضمت أليس للموكب وهي تتساءل عما سيحدث لاحقاً. «الطقس جميل اليوم!»، همسَ صوت خجول بالقرب منها. إنه



الأرنب الأبيض. كان يسير إلى جانبها ويصوب نحوها نظرة قلقة. «جميل جداً، قالت أليس. أين الدوقة؟».

«صه! صه!» همس الأرنب بخفة وهو ينظر خلفه بتوجس. ثم انتصب على قائمتيه الخلفيتين، قرَّب فمه من أذن أليس وأضاف بصوت خفيض: - لقد حكم عليها بقطع رأسها.

- يا لها من مجزرة! - هل قلت: .. يا للأسف؟

- لا، لا أجد ذلك مؤسفاً البتة. لكن ما الذنب الذي اقترفَتْه؟

- لقد صفعت الملكة...

وبما أن أليس شرعت تقهقه، همس بصوت مرتجف:

- صه! أرجوك! سوف تسمعك الملكة!

لقد وصلت الدوقة متأخرة، وقالت لها الملكة... - خذوا أماكنكم! صرخت الملكة بصوت جهوري. وبدأ اللاعبون يتراكضون في كل الاتجاهات، ويصطدم بعضهم ببعض، لكن بعد دقيقة أو دقيقتين كان كل واحد في مكانه وبدأت اللعبة. لم يسبق لأليس طوال حياتها أن رأت مثل ذلك الملعب الغريب للكروكيت: كان يتكوّن من حفر ونتوءات. أما الكرات فقد كانت عبارة عن قنافذ حية. أما المضارب فهي طيور النحام الحيّة. وكان على الجنود أن يركعوا وأيديهم وأرجلهم على الأرض، ليشكلوا الأقواس الصغيرة. منذ البداية أدركت أليس أن الصعوبة تكمن في استخدام طائرها، لقد توصّلت بمشقة إلى تطويقه بالكامل تحت إبطها، وقائمتاه متدليتان، لكن، عموماً، في الوقت المحدد الذي

كانت تتهيأ فيه، بعد أن ثبتت عنقه على نحو مستقيم، للضرب على القنفذ برأسه، كان الطائر يلتفت نحوها وينظر إلى وجهها مباشرة والحيرة بادية عليه مما كان يدفعها للضحك؛ من جهة أخرى، عندما خفضت رأسه وكانت تتأهب لإعادة الكَرَّة، أزعجها إدراك أن القنفذ لم يعد متكوراً وابتعد ببطء؛ علاوة على ذلك، كان هنالك دوماً حفرة أو حدبة في المكان الذي كانت تنوي رمي القنفذ نحوه؛ وبما أن الجنود المنحنين كانوا هم أيضاً لا يكفون عن الوقوف للتوجه إلى مواضع أخرى من الملعب، توصلت أليس إلى خلاصة مفادها أن تلك كانت عبارة عن لعبة صعبة للغاية حقاً.

كان اللاعبون يلعبون جميعهم في الآن نفسه من دون انتظار أدوارهم. لم يتوقفوا للحظة عن العراك بسبب القنافذ. وبعد مرور وقت قصير ثارت ثائرة الملكة وأخذت تذرع الملعب جيئة وذهاباً وتخبط الأرض صارخة بين دقيقة وأخرى: «فليقطع رأس هذا! وليقطع رأس تلك!».

أخذت أليس تشعر بعدم الارتياح. صحيح أنها لم تتشاجر مع الملكة، لكنها كانت تعلم أن ذلك سيحدث بين الفينة والأخرى. أخذت تفكر: «في هذه الحال، ما الذي سيحل بي؟ إنهم مرعبون هنا، هم المولعون بقطع الرؤوس. ما أَندهش له هو وجود ناجين أحياء بعد كل ذلك!».

كانت تجول بنظرها في ما حولها بحثاً عن وسيلة للهرب، وكانت تتساءل هل تستطيع الابتعاد من دون إثارة الانتباه عندما لاحظت في الأجواء مظهراً غريباً. حيَّرها ذلك في بادئ الأمر،

لكن بعد التحديق لدقيقة أو دقيقتين فهمت أن الأمر يتعلق بابتسامة، ثم قالت لنفسها: «إنه قط الشيشاير، وأخيراً وجدتُ من أتجاذب معه أطراف الحديث».

«كيف حالك؟»، سألها القط فور أن بدا من فمه ما يكفي ليصبح قادراً على الكلام.

انتظرت أليس ظهور عيني القط لتوجه له التحية بحركة من رأسها. «لا جدوى من الحديث إليه ما دامت أذناه لم تظهرا، أو على الأقل ما لم تظهر واحدة منهما». دقيقة بعد ذلك، ظهر الرأس بأكمله. عندها وضعت أليس طائر النحام على الأرض وشرعت تقدّم للقط ملخصاً لمباراة الكروكيت، يغمرها الفرح لكونها وجدت من وافق على الإصغاء إليها.

لا شك أن القط ارتأى أن جزءاً كافياً منه ظاهر للعيان، لذلك لم يُظْهِرْ منه ما يزيد على ذلك. قالت أليس بنبرة عدم الرضا: «لا أظن أن هؤلاء الناس يلعبون على نحو جيد، إنهم يتشاجرون بصورة مريعة حيث لا نسمع ما يقولونه، كما يبدو أنه ليس لديهم أي قاعدة محددة. (وفي كل الأحوال، إن وجدت فلا أحد يحترمها)؛ ولك أن تتصور كم هو مربك التعامل بعُدَّة حيَّة: على سبيل المثال، القوس الذي من المفروض أن تمر من خلاله كرتي سائر في التجول في الطرف الأقصى من الملعب، وأنا متأكدة أنني كنت سوف أُبْعِدُ قنفذ الملكة، قبل ذلك بلحظة، لكنه هرب لمَّا رأى قنفذي قادماً!».

سأل القط بصوت خفيض: «ما رأيك في الملكة؟ إنها لا تعجبني بتاتاً؛ إنها...»

- في تلك اللحظة بالضبط انتبهت إلى أن الملكة كانت خلفهما، قريبة منهما جداً، مستغرقة في الاستماع إليهما؛ لذلك السبب تابعت تقول:

- «... متأكدة جدّاً من ربح اللعبة حيث صار من غير المجدي إنهاء المباراة»، تابعت الملكة سيرها وهي تبتسم. «اللعنة! مع من تتحدّثين يا ترى؟» سأل الملك عند اقترابه من أليس وهو ينظر بفضول كبير إلى رأس القط.

- مع واحد من أصدقائي، إنه قط الشيشاير، اسمح لي بأن أقدمه إليك.

- لا يعجبني مظهره بتاتاً، قال الملك. ومع ذلك، أسمحُ له بتقبيل يدي إن أراد ذلك.

- أُفَضِّلُ ألا أفعل ذلك، ردَّ القط.

- لا داعي للوقاحة، قال الملك. ولا تنظر إليَّ على ذلك النحو، أضاف قائلاً وهو يتخذ مكانه خلف أليس.

- يستطيع القط النظر إلى الملك، نبهته أليس. لقد قرأت ذلك في كتاب، لا أتذكر أين.

- ذلك ممكن، لكن يجب القيام بإزالته، قال الملك بنبرة جازمة. ثم نادى على الملكة التي كانت تمر بالقرب منه حينها: «رفيقتي الغالية كم أود أن تأمري بإزالة هذا القط!». لم تكن الملكة تعرف إلا وسيلة واحدة لحل كل الصعوبات. «فليُقطع رأسه!»، صرخت من دون أن تلتفت.

«سوف أذهب بنفسي للبحث عن الجلاد»، قال الملك متلهفاً، ثم ابتعد مسرعاً.

ارتأت أليس أن من الأفضل لها الالتحاق باللاعبين لمعرفة مآل المباراة، حينما تناهت إليها صرخات غضب الملكة القادمة من بعيد.

لقد سبق لها وسمعتها تأمر بقطع رؤوس ثلاثة لاعبين لأن دورهم فاتهم في اللعب، كما أنها لم تستسغ ما آلت إليه الأحداث لأن حالة من الفوضى عمَّت المكان بحيث لم تعد تعرف هل حل دورها للعب أم ليس بعد.

ونتيجة لذلك أخذت تبحث عن قنفذها. كان هذا القنفذ يتعارك مع قنفذ آخر، وقد اعتبرت أليس أن تلك فرصة ممتازة لاستخدام أحدهما في طرد الآخر: المشكلة الوحيدة هو أن طائرها النحامي كان موجوداً في الطرف الأقصى من الحديقة، هناك حيث كان بإمكانها مشاهدته وهو يحاول بلا جدوى الطيران كي يحط على شجرة. وقبل أن تمسك بطائر النحام وتعيده، كان العراك قد انتهى والقنفذان قد اختفيا. «لكن لا أهمية لذلك الآن، ما دام لم يعد هنالك قوس في تلك الجهة من الملعب»، قالت أليس محدثة نفسها.

حشرت الطائر تحت إبطها لمنعه من الهروب مجدداً، ثم عادت حيث يوجد صديقها لمواصلة الحديث. في الوقت الذي لحقت فيه قط الشيشاير فوجئت حينما رأت أنه محاط بجمهور غفير: احتدم جدال بين الجلاد والملك والملكة الذين كانوا يتكلّمون في الوقت نفسه. بينما كانت بقية الحاضرين تلتزم الصمت، كما بدا عليهم عدم الارتياح. حالما رأوا أليس هرع إليها ثلاثتهم ملتمسين تحكيمها في ما شجر بينهم. عرض كل

منهم حججه، لكن بما أنهم كانوا يتحدثون جميعهم في الوقت نفسه، كان من العسير عليها فهم ما يقولونه بالضبط. كانت حجة الجلاد تقول بأنه من المستحيل قطع رأس ما في غياب جسد يفصل عنه، وبأنه لم يسبق له القيام بفعل مماثل حتى الآن، وبأنه لن يبادر إلى فعله في سِنِّه ذاك.

كانت حجة الملك تقول بأن كل كائن ذي رأس قد تُضْرَبُ عنقه، وبأنه لا ينبغي التفوه بالسخافات.

وكانت حجة الملكة تقول بأنه إذا لم يتم اتخاذ قرار في الحين فإنها سوف تأمر بضرب أعناق كل الحاضرين. (هذه الملاحظة الأخيرة تفسر ما بدا على الحاضرين من وقار وحيرة).

لم تجد أليس بدّاً من القول: «إن القط في ملكية الدوقة، من الأفضل لكم معرفة رأيها في الأمر».

- إنها في السجن، قالت الملكة للجلاد، اذهب للبحث عنها وأحضرها إلى هنا. فانطلق الجلاد مسرعاً كالسهم. ما إن ابتعد الجلاد حتى أخذ رأس القط في الاختفاء، وقبل أن يعود الجلاد برفقة الدوقة كان الرأس قد اختفى تماماً: طفق الملك والجلاد يركضان مثل المجانين في كل الاتجاهات للعثور عليه، بينما ذهب بقية الحاضرين لمواصلة المباراة المتوقفة.



الفصل التاسع

حكاية السلحفاة المتوهمة

«لا يمكنك تخيل كم أنا مسرورة لرؤيتك مجدداً يا عزيزتي!»، قالت الدوقة وهي تتأبط بحنو ذراع أليس كي تحفّزها على السير معاً لبضع خطوات. كانت أليس فرحة جدّاً لأنها وجدتها بمزاج رائق وظنت أن الفلفل ربما كان هو السبب في مزاجها الغاضب أثناء لقائهما الأول في المطبخ. «عندما أصبح دوقة، ناجت نفسها (لكن من دون تفاؤل كبير، في الحقيقة) لن يكون في مطبخي ولو ذرة واحدة من الفلفل. لا يحتاج الحساء للفلفل. لا شك أن الفلفل هو الذي يجعل الناس يفقدون أعصابهم». ثم واصلت كلامها وهي راضية عن كونها اكتشفت نظرية صحية جديدة: «إن الخل هو الذي يعكر مزاجهم، بينما يجعل البابونج مزاجهم حادّاً، في حين يعمل سكر النبات وبقية

الحلويات على جعل الأطفال الصغار أكثر هدوءاً. أود أن يعلم الكبار ذلك، حينذاك لن يبخلوا علينا بالحلويات».

أثناء مناجاتها تلك، تناست وجود الدوقة كليّاً لذا فزعت قليلاً عندما سمعتها توشوش في أذنها: «إنك مستغرقة في التفكير في شيء ما يا عزيزتي، مما ينسيك الكلام. لا أستطيع اللحظة أن أفصح لك عن العبرة التي يجب استخلاصها من هذا الأمر، لكن ذلك سيعِنُّ لي بعد قليل». خاطرت أليس بالتعليق قائلة: ربما ليس هناك من عبرة للاستخلاص.

- كلا! صاحت الدوقة، نستطيع أخذ العبرة من أي شيء، يكفينا العثور عليها.

لم تكن أليس تستحسن إطلاقاً اقتراب الدوقة منها بكل ذلك القدر: أولاً لأنها كانت قبيحة الوجه كثيراً، ثم لأن طولها يناسب بالضبط قدرتها على وضع ذقنها على كتف أليس، ولقد كان ذقناً مسنناً على نحو مُنَفِّر. لكن بما أنها لم ترد أن تبدو فظة، فقد تحمّلت ما استطاعت ذلك الإزعاج.

- كأن المباراة تسير على نحو أفضل، قالت ملاحظة.

- صحيح! والعبرة في ذلك: آه! إنه الحب، الحب الذي يجعل الأرض تدور!...

- أحد ما قال بأن الأرض تدور على نحو أسرع حينما يهتم كُلٌ بشؤونه!

- «صدقيني! إن ذلك يعني الشيء نفسه تقريباً»، قالت الدوقة وهي تغرز ذقنها المسنن في كتفها. ثم أضافت قائلة: «والعبرة في

ذلك: اهتمي بالمعنى، والكلمات تهتم بنفسها...».

- «يا لها من مهووسة باستخلاص العبر من أي شيء!»، فكَّرت أليس.

- إني أراهن بأنك تتساءلين لم لا أحيط بذراعي خاصرتك، تابعت الدوقة بعد برهة من الصمت، ذلك لأني غير متأكدة من مزاج طائرك النحامي. هل يجب أن أقدم على التجربة؟

- قد يصيبك بوخزة من منقاره، قالت أليس بحذر، هي التي لم ترغب في أن تراها تقدم على التجربة.

- ذلك صحيح تماماً. طيور النحام والخردل ينقران هما أيضاً. والعبرة في ذلك: المتشابهان يجتمعان..

- من حقي أن أفكر، ردت عليها أليس بخشونة، لأنها باتت تشعر بالضجر نوعاً ما.

- تقريباً مثلما للخنازير الحق في الطيران، قالت الدوقة، واللعِبْ..

لكن في هذه اللحظة بالذات، كم كانت دهشة أليس عظيمة حينما خبا صوت الدوقة عند منتصف الكلمة المفضلة لديها: «العبرة»، وشرعت الذراع التي كانت تمسك بذراع الفتاة الصغيرة في الارتجاف. رفعت أليس ناظريها ولحظت أن الملكة كانت تقف أمامهما، ذراعاها متصالبان وحاجباها معقودان ومن عينيها يتطاير الشرر.

- نهار جميل، يا جلالة الملكة! بادرت الدوقة بصوت خفيض وباهت.



- لا أود أخذك على حين غرة، صاحت الملكة وهي تخبط الأرض من الغيظ، أحذرك الآن بكل إخلاص أنك ورأسك ستختفيان وأن الأمر سيتم قبل فراغي من قول ذلك! اختاري!.

اختارت الدوقة واختفت في اللحظة ذاتها. «لنواصل اللعب»، قالت الملكة لأليس التي من شدة خوفها لم تنبس ببنت شفة وتبعتها بتؤدة حتى أرضية الكروكيت. استغل بقية المدعوين غياب الملكة للاستراحة في الظل، لكن حالما رأوها أسرعوا لمواصلة اللعب. اكتفت جلالتها بتحذيرهم من أن أدنى تأخير سيكلِّفهم حياتهم. طوال الوقت الذي استغرقه اللعب لم تكف الملكة عن الشجار مع بقية اللاعبين، وعن الصراخ: «فليقطع رأس هذا!»، أو «فليقطع رأس تلك!». وعلى الفور تم القبض على المدانين من جانب الجنود الذين كان عليهم، لإنجاز هذه المهمة، التخلي بالطبع عن تشكيل الأقواس، إذ، بعد انصرام نصف ساعة لم يعد على الأرضية ولا قوس واحد. وباستثناء الملك والملكة وأليس كان كل اللاعبين تحت حراسة مشددة في انتظار إعدامهم.

بعد انقطاع أنفاسها، توقفت الملكة عن اللعب كي تسأل أليس: «هل سبق لك رؤية السلحفاة المتوهمة؟».

- كلا، بل إنني لا أعرف ما تكونه سلحفاة متوهمة.

- إنها ما يصنع منه حساء السلحفاة المتوهمة.

- لم يسبق لي أن رأيتها أو سمعت بها، أقرَّت أليس.

- «أقبلي إذاً، سوف تقص عليك حكايتها»، قالت الملكة.

وبينما كانتا تبتعدان معاً، سمعت أليس الملك يقول بصوت خفيض لكل المدانين: «إني عفوت عنكم جميعاً».

قالت أليس التي امتعضت كثيراً جرَّاء الإعدامات الكثيرة التي أمرت بها الملكة: «هذا على الأقل كلام معقول!».

وسرعان ما التقتا بعنقاء مغرب ممدة في الشمس وغارقة في سبات عميق. «انهضي أيتها الكسولة! صاحت في وجهها الملكة. خذي هذه الآنسة الصغيرة عند السلحفاة المتوهمة التي سوف تروي لها حكايتها. من جهتي، علي العودة لحضور بعض الإعدامات التي أَمَرْتُ بها». بعد قولها ذلك، ابتعدت وتركت أليس لوحِدها بصحبة العنقاء.

لم يرق لها قط مظهر هذا الحيوان، لكنها حدَّثت نفسها بأنها، بعد كل شيء، في مأمن بالبقاء قريباً منها بدل مرافقة تلك الملكة الشرسة: لذا ظلّت مكانها تنتظر.

استقامت العنقاء وفركت عينيها ثم راقبت الملكة إلى أن اختفت هذه الأخيرة عن الأنظار. حينها أخذت تضحك بتكتم. «إنه لأمر مضحك!»، قالت بنظرة لا يمكن أن تُسمع سوى من جانب أليس.

- ما المضحك؟ سألت أليس.

- «تصرفها هي طبعاً، كل ذلك من صنع خيالها. لم يتم إعدام أي كان، تأكدي من ذلك... هيا أقبلي!»، أجابتها العنقاء.

«الجميع هنا يقول لي: أقبلي! حدّثت أليس نفسها وهي تتبع العنقاء من دون تسرع. لم أتلق طوال حياتي كل هذا القدر من الأوامر، على الإطلاق!».

لم يكونا قد ابتعدا كثيراً حينما أبصرا السلحفاة المتوهمة جالسة على حافة صخرة صغيرة والحزن والعزلة يغمرانها. وبينما كانتا تقتربان منها سمعتها أليس تصدر أنيناً ينفطر له القلب وكانت تشفق لحالها. سألت أليس العنقاء: «ما الذي يحزنها؟»، وأجابت العنقاء بما قالته تقريباً عن الملكة في السابق: «كل ذلك من صنع خيالها، في الواقع ليس هناك من سبب لحزنها. تأكدي من ذلك. هيا، أقبلي!».

اقتربا من السلحفاة جامحة الخيال التي كانت تراهما يقبلان بعينيها الكبيرتين المغرورقتين بالدموع، لكنها ظلت صامتة. قالت العنقاء: إن هذه الآنسة الصغيرة التي ترين هاهنا تودُّ لو قصصتِ عليها حكايتك.

«بكل تأكيد». أجابت السلحفاة المتوهمة بصوت أجش. «سوف أقصّها عليها، اجلسا ولا تنطقا بأي كلمة حتى أنتهي».

جلسا وخلال بضع دقائق لم تنطق أي منهما ولو بكلمة. فكرت أليس: «لا أرى كيف لها أن تنتهي أبداً وهي لم تبدأ لحد الآن»، لكنها انتظرت بأناة.

قالت السلحفاة في النهاية بحسرة كبيرة: في ما مضى كنت سلحفاة حقيقية. تلا هذه الكلمات صمت طويل جدّاً، كانت تقطعه من حين إلى آخر خرخرة العنقاء ونحيب طويل لا يتوقف تصدره السلحفاة المتوهمة. كانت أليس على وشك القيام وقول: «أشكرك، سيدتي، على حكايتك المفيدة». لكنها لم تمنع نفسها من التفكير أن هناك لا محالة تتمة للحكاية؛ لذلك ظلت جالسة من دون حركة ولا كلام. وأخيراً تابعت السلحفاة المتوهمة

بصوت رزين، رغم أن نحيباً قصيراً كان يهزها بين الحين والآخر: عندما كنا صغاراً، كنا نذهب إلى المدرسة في البحر. كانت معلمتنا سلحفاة عجوز نسميها السلحفاة الإغريقية...

- لماذا كنتم تسمونها السلحفاة الإغريقية ما دامت سلحفاة بحرية؟ سألتها أليس. لقد قرأتُ في مكان ما أن السلحفاة الإغريقية تعيش في مياه الأنهار.

- كنا نسميها السلحفاة الإغريقية لأنها كانت تتكلم اللغة الإغريقية، ردَّت السلحفاة بغضب. بصراحة، أجد أنك محدودة الأفق جداً.

- عليك الخجل من نفسك بوضعك لسؤال سهل كهذا، أضافت العنقاء.

بعد ذلك، بقيت الاثنتان جالستين في صمت تحدقان في أليس المسكينة التي كانت تتمنى أن تنشق الأرض لتبتلعها. وفي الأخير قالت العنقاء للسلحفاة المتوهمة: «أكملي حكايتك، يا صديقتي! واحرصي على أن لا يدوم ذلك طوال النهار!»

واصلت بهذه العبارات:

- أجل، كنا نذهب إلى المدرسة في البحر، وإن بدا لك ذلك أنه أمر لا يصدق...

- لم أقل ذلك قط! صاحت أليس مقاطعة إياها.

- بلى، لقد قلتِ ذلك! أجابتها السلحفاة المتوهمة.

- اخرسي! أضافت العنقاء قبل أن تتمكن أليس من النطق بكلمة واحدة.

بعد ذلك، تابعت السلحفاة المتوهمة كلامها: «لقد تلقينا تعليماً جيداً؛ وفي الواقع، كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم...»

- وأنا أيضاً كنت أذهب باستمرار إلى مدرسة خارجية. ليس هناك ما يدعو إلى التفاخر.

- هل كانت هنالك في مدرستكم مواد اختيارية إضافية؟ سألت السلحفاة المتوهمة بنبرة قلقة شيئاً ما.

- أجل كنا نتعلم اللغة الفرنسية والموسيقى.

- والغسيل؟

- قطعاً لا! أجابت أليس بغضب.

- آه! في هذه الحالة لم تكن مدرستك في الحقيقة مدرسة جيدة، علّقت السلحفاة بنبرة شديدة الارتياح، ثم أضافت: عند أسفل ورقة فاتورة مدرستنا كتبت العبارات الآتية : مواد إضافية ، فرنسية، موسيقى وغسيل.

- لم تكونوا في حاجة ماسة للغسيل بما أنكم كنتم تعيشون في أعماق البحر، قالت أليس.

- لم تكن لدي الإمكانات للاستفادة من تلك المواد الإضافية، كنت أكتفي بالمواد الأساسية، قالت السلحفاة جامحة الخيال بحسرة.

- ماذا كنتم تتعلمون فيها؟ سألتها أليس.

- في البداية طبعاً، تعلّمنا الخراطة والخياطة، ثم مختلف أقسام الحساب: الطموح، التسلية، التقبيح والتهكم.

- لم يسبق لي قط أن سمعت بالتقبيح، ما المقصود بالتقبيح؟ تجرَّأت أليس على السؤال.

رفعت العنقاء قائمتيها الأماميتين تعبيراً عن الدهشة.

- «كيف! لم يسبق لك أن سمعتِ بالتقبيح!»، قالت العنقاء بتعجب. أفترض أنك تعرفين ما تعنيه كلمة «تجميل»؟

- بلى، أجابت أليس التي لم تكن متأكدة بما يكفي. ذلك يعني جعل شيء ما جميلاً أكثر.

- في هذه الحالة إذا لم تعرفي ما المقصود بالتقبيح فذلك يعني أنك مغفلة بكل ما في الكلمة من معنى.

ولما شعرت أليس بالإحباط من طرح المزيد من الأسئلة في ذلك الصدد، التفتت نحو السلحفاة المتوهمة وسألتها:

- ما الذي تعلمته إضافة إلى ذلك؟

- حسناً، كان هنالك العاج، أجابت السلحفاة المتوهمة وهي تعدُّ على قائمتيها. العاج القديم والعاج الحديث، وعلم تخطيط البحار. ثم تعلمنا التقتير. كان أستاذ التقتير وهو ثعبان بحري عجوز يحلّ علينا مرة في الأسبوع. كان يعلمنا فن التقتير، والمقايضة، والتظاهر في لعبة الحجلة.

- كيف كنتم تفعلون ذلك: التظاهر في لعبة الحجلة؟

- صدقيني! لا يمكنني أن أقول لك ذلك، لأني نسيت. أما العنقاء فلا علم لها بهذا الفن.

- لم يكن لدي وقت، قالت العنقاء. لكني درستُ الأدباء الكلاسيكيين بفضل أستاذ عجوز الذي كان سرطاناً عجوزاً .

- لم أستطع يوماً متابعة دروسه، قالت السلحفاة المتوهمة وهي تزفر بدورها. قيل إنه كان يُدرِّس التزلج والتطعيم.

- ذلك صحيح، أجل، ذلك صحيح، قالت العنقاء وهي تزفر بدورها. وعقب ذلك أخفى كل من المخلوقين وجهه بقائمته.

- كم كان عدد ساعات الدرس في اليوم؟ سألت أليس التي كانت تتحرَّق لتغيير مجرى الحديث.

- عشر ساعات في اليوم الأول، ثم تسع في اليوم التالي، وهكذا دواليك بنقصان ساعة كل يوم.

- يا له من منهج مضحك! قالت أليس بتعجّب.

- لذلك تسمَّى دروساً: لأنها تندرس يوماً عن يوم، علَّقت العنقاء.

كانت تلك مقولة جديدة بالنسبة إلى أليس وأمعنت التفكير فيها قبل أن تضيف: «وتبعاً لذلك، اليوم الحادي عشر كان يوم عطلة؟».

- بالتأكيد كان يوم عطلة، قالت السلحفاة جامحة الخيال.

- وماذا كنتم تفعلون في اليوم الثاني عشر؟ سألت أليس بلهفة.

صرخت العنقاء بنبرة جازمة: «كفاكما لغواً عن الحصص والدروس، حدِّثيها الآن عن الألعاب».



الفصل العاشر

رقصة السلطعون الرباعية

أطلقت السلحفاة المتوهمة زفرة عميقة وفركت عينيها بظاهر إحدى قائمتيها. نظرت صوب أليس وحاولت الكلام، لكن لمدة دقيقة أو دقيقتين، خنق النحيب أنفاسها. «وكأن شوكة علقت بحنجرتها»، قالت العنقاء التي رأت أن من واجبها خضها والتربيت على ظهرها. وأخيراً استعادت السلحفاة المتوهمة القدرة على الكلام وتوجهت إلى الفتاة الصغيرة والدموع تسيل على خدّيها:

- لا شك أنك لم تعيشي كثيراً في أعماق البحر...

- بالفعل، لا، قالت أليس.

- ...وربما لم يسبق لك التعرف إلى سلطعون...

شرعت أليس تقول: «لقدْ تذوقت مرة... لكنها توقفت فجأة وقالت: لا، أبداً».

- ... بحيث لا يمكنك تخيل كم هي ساحرة رقصة السلطعون الرباعية!

- بالتأكيد لا، قالت أليس، أي نوع من الرقص هو؟

- حسناً، في البداية نصطف على امتداد شط البحر... قالت العنقاء.

- بل نصطف في صفَّين! صاحت السلحفاة جامحة الخيال. جميع من حضر. أولاً، الفقمات، تتبعها السلاحف وسمك السلمون، ... إلخ. ثم بعد تنظيف الساحة من قناديل البحر المتراكمة...

- وهذا يستغرق عموماً الكثير من الوقت، قاطعتها العنقاء.

- ... نخطو خطوتين إلى الأمام...

- ويتخذ كل واحد منا السلطعون شريكاً له! صاحت العنقاء.

- طبعاً، نقوم بخطوتين إلى الأمام للقاء الشريك...

- نستبدل السلطعون ونقوم بخطوتين إلى الخلف، تابعت العنقاء. - بعد ذلك، نقذف الـ... ، واصلت السلحفاة الوهمية.

- «السلطعونات!»، صاحت العنقاء وهي تقفز في الهواء.

- ... أبعد ما يكون في البحر...

- ونلحق بها سباحة! صاحت العنقاء.

- ونقوم بقفزة بهلوانية خطرة في الماء! صرخت السلحفاة الوهمية وهي تثب كالمجنونة.

- ونستبدل مجدداً السلطعون! زعقت العنقاء.

- «نرجع للشط، و... هذا كل ما يخص الرقصة الأولى»، قالت السلحفاة الوهمية وهي تخفض صوتها بشكل مفاجئ.

ثم جلس المخلوقان بهدوء وحزن شديد وأخذا ينظران إلى أليس هما اللذان لم يكفا عن الوثب بشكل أخرق في كل الاتجاهات طوال عرضهما.

- لا شك أنها رقصة جميلة جدّاً، قالت الفتاة الصغيرة بانبهار.

- هل تودين أن نريك كيف تتم هذه الرقصة؟ سألتها السلحفاة الوهمية.

- سوف يسعدني ذلك كثيراً، أجابتها أليس.

- فلنحاول تقديم حركاتها الأولى، قالت السلحفاة الوهمية للعنقاء. ومهما يكن، نستطيع تقديمها من دون سلطعونات. من منا سيغني؟

- أوه! غنِّ أنت، لقد نسيت الكلمات. توسَّلت العنقاء. وعليه، شرعتا ترقصان وهما تدوران حول أليس بجدية وتدوسان أصابع قدمها بين الفينة والأخرى كلما مرَّتا بالقرب منها، وتوقعان الخطو بقوائمهما الأماميتين، بينما كانت السلحفاة الوهمية تغني بصوت متثاقل وحزين: قالت سمكة الغُبَر للحلزون:

«هلا أسرعت قليلاً؟ في الخلف سمكة تدوس ذيلي. انظر كيف أن السلطعونات والسلاحف تتقدَّمُ بحماس!

هل تريد، أو لا تريد، هل تريد، أو لا تريد، هل تريد الرقص؟

هل تريد، أو لا تريد، هل تريد، أو لا تريد، هل تريد الرقص؟

كم هو ممتعٌ عندما تلقي بك السلحفاة مع السلطعونات إلى البحر!».

أجاب الحلزون: «هذا بعيد! بعيد!» وهو ينظر إليها بحذر.

قال إنه يشكر سمكة الغبر، لكنه لا يريد الرقص .

لا يريد، لا يستطيع، لا يريد، لا يستطيع، لا يريد الرقص. لا يريد، لا يستطيع، لا يريد، لا يستطيع، لا يريد الرقص.

أجابه صديقه ذو الحراشف: «لا يهم بُعْدُ المسافة! إني ألمح شاطئاً آخر، بل وأملاً آخر. كلما ابتعدنا عن إنجلترا، اقتربنا من فرنسا - لا تجزع أيها الحلزون المحبوب.

هل تريد، أو لا تريد، هل تريد، أو لا تريد، هل تريد الرقص؟
هل تريد، أو لا تريد، هل تريد، أو لا تريد، هل تريد الرقص؟»

قالت أليس فرحة لانتهاء الرقصة أخيراً: شكراً، لقد أدَّيتم رقصة مثيرة جديرة بالمشاهدة، لقد أحببتُ كثيراً تلك الأغنية العجيبة عن سمكة الغبر!

- أوه! في ما يخص سمك الغبر، قالت السلحفاة الوهمية، إنها... لقد سبق لك رؤية سمك الغبر، طبعاً؟

- نعم، أجابت أليس، كثيراً ما سبق لي رؤيتها على عروق البقدونس.... ثم توقفت فجأة.

- لا أعلم أين يوجد البقدونس... هذا، قالت السلحفاة المتوهمة، لكن إن سبق لك رؤيتها عدة مرّات، فلا شك أنك تعرفين كيف هي.

- أجل، يبدو لي ذلك، قالت أليس بعد تفكير. إن ذيلها في فمها... وهي مغطاة بالنَّشاء.

- في ما يخص النشاء، فأنت مخطئة، نبهتها السلحفاة المتوهمة؛ لأنها ستنجرف مع ماء البحر. لكن صحيح إن ذيلها في فمها؛ ولهذا السبب...

- أخذت تتثاءب وأغلقت عينيها:

- اشرح لها السبب وقصّ عليها كل ما تبقى، قالت للعنقاء.

- ها هو السبب، تابعت العنقاء. لقد أرادوا حتماً الذهاب للرقص مع السلطعونات. لذلك، تم رميهم في البحر. ووجَبَ أن يسقطوا بعيداً. لذلك وضعوا ذيولهم في أفواههم بأكبر قدر من الصرامة. لم يستطيعوا سحبها. هذا كل ما في الأمر.

- شكراً لك، قالت أليس، إن ذلك مفيد جدّاً. لم يسبق لي أن تعلمت كل هذه الأشياء عن سمك الغبر.

- إن كنت تستمتعين بذلك، بمقدوري أن أفيض في إخبارك بالمزيد، قالت العنقاء. هل تدرين ما الفائدة من سمك الغبر؟

- لم يسبق لي التفكير في ذلك. ما الفائدة منها؟

- «إنها تُلَمِّعُ النعال والأحذية»، قالت العنقاء بحزم شديد. ارتبكت أليس تماماً.

- تُلَمِّعُ النعال والأحذية! ردَّدت أليس بنبرة اندهاش.

- حسناً، بماذا تُلمِّعين أحذيتك الصيفية؟ سألتها العنقاء. أقصد القول: بماذا يتم تبييضها؟.

فكّرت أليس برهة قبل أن تجيب: - أظن أننا نفعل ذلك بالأبيض الإسباني.

- جيد! قالت العنقاء بصوت حاد. حسناً، يتم تلميع الأحذية في أعماق البحر بسمك الغُبر الأبيض، وهو كما تعلمين، سمك أبيض!

- ومن الذي يصنعها؟ سألت أليس بنبرة ملؤها حب الاستطلاع.

- سمك الخرمان وسمك القرش أبو مطرقة، بطبيعة الحال، أجابت العنقاء بصبر نافد؛ إن أصغر جمبري يمكنه إخبارك بذلك!

- لو كنت مكان سمك الغبر، قالت أليس التي كانت لا تزال تستحضر الأغنية، لأخبرت الدلفين قائلة: إلى الخلف، من فضلك، إننا لا نريد لك أن تسحقنا!...

- لقد كانوا مكرهين على مرافقته، قالت السلحفاة المتوهمة؛ كل سمك له حس سليم لا يمكنه التوجه إلى أي مكان من دون دلفين.

- أحقاً! صاحت أليس بنبرة مندهشة.

- بالطبع لا، لو قُيِّضَ لسمكة ما أن تتقدم نحوي أنا، وتخبرني بأنها سوف تسافر، لسألتها: مع أي دلفين؟...

- ألا تقصدين كلمة أخرى غير «دلفين»؟

- إني أقصد قول ما أقوله، أجابتها السلحفاة المتوهمة بنبرة من أصابته المهانة. وأضافت العنقاء قائلة: والآن، حان دورِكِ كي تقصّي علينا مغامراتك.

- أستطيع أن أقصّ عليكما المغامرات التي عشتها منذ هذا الصباح، قالت أليس بخجل ظاهر؛ لكن لا فائدة من العودة حتى أمس، إذ في ذلك الحين كنتُ مختلفة تماماً عما أنا عليه اليوم...

- اشرحي لنا ذلك، قالت السلحفاة المتوهمة.

- لا، لا! المغامرات أولاً! تدخلت العنقاء بنبرة تنم عن نفاد صبرها. إن الشروح تتطلب وقتاً طويلاً جداً.

أخذت أليس تحكي لهما مغامراتها انطلاقاً من اللحظة التي التقت فيها الأرنب الأبيض. في البدء شعرت بشيء من الخوف لأن المخلوقين اللذين جلسا إلى جانبها، كل واحد من جانب، كانا يفتحان واسعاً عيونهما ويشغران فميهما؛ لكن شجاعتها كانت تزداد كلما تقدمت في سردها. ولزم المخلوقان صمتاً تاماً. لكن حينما وصلت إلى لقائها مع دودة القز، حينما حكت كيف أنها حاولت إنشاد: «إنك عجوز أيها الأب وليام»، وكيف أن الكلمات جاءت على نحو يختلف عما هي عليه في الواقع، زفرت السلحفاة المتوهمة بعمق وقالت:

- إن هذا لأمر عجيب جداً!

- لم أسمع قط شيئاً بمثل هذا العجب، قالت العنقاء. - لقد جاء ذلك مختلفاً عما هو عليه في الواقع! ردَّدت السلحفاة المتوهمة وهي ساهمة.

«أود أن تنشدني شيئاً ما. قولي لها أن تبدأ حالاً»، طلبت من العنقاء، كما لو أنها تظن أن للعنقاء سلطة على أليس.

- قومي وانشدي: ... «إنه صوت المتكاسل...» قالت العنقاء بصوت آمر.

- كم إن هذه المخلوقات تحب توجيه الأوامر إلي وجعلي أستظهر دروسي حقاً، وكأنني داخل القسم بالمدرسة! ورغم ذلك، قامت من مكانها وشرعت تنشد؛ لكنها كانت تفكر بشدة في رقصة السلطعونات الرباعية إلى حد أنها لم تعد تدرك جيداً ما الذي تقوله، وكانت الكلمات التي نطقت بها شديدة الغرابة بحق: إنه صوت السلطعون، أسمعه يقول:

«لقد أفرطتَ في تحميصي، ولم تذرُ علي السكر بما يكفي».
مثلما يفعل البط، بأنفه الخشن، يُلَمِّعُ ملقاطه ويمشط شعره.

حينما تكون الرمال جافة، يكون مسروراً، ويتحدَّث عن القرش، المتباهي، بازدراء! لكن حينما يهيج البحر ويدنو القرش يغدو صوته خجولاً ومرتجفاً.

- إنه مختلف عما كنت أتغنى به في صغري، قالت العنقاء.

- أما أنا، فلم أسمع به قط طوال حياتي، أضافت السلحفاة المتوهمة. لكن يبدو لي هذا مجرد حفنة من السخافات.

- ظلت أليس صامتة؛ جلست ووجهها مدفون بين يديها، وهي تتساءل ما إذا كانت الأمور ستعود إلى مجراها العادي في يوم من الأيام.

- أود أن يتم شرح هذه الأبيات لي، طلبت السلحفاة المتوهمة.

- إنها عاجزة عن فعل ذلك، قالت العنقاء بحيوية. أنشدي لنا المقطع التالي.

- لكن، ألحَّتِ السلحفاة المتوهمة، كيف له أن يمشط شعره بأنفه؟

- إنها مجرد خدعة هي جزء من الرقصة، أجابت أليس، وقد أربكها كل ذلك بشدة، هي التي أصبحت تتحرق شوقاً لتغيير مجرى الحديث.

- أنشدي لنا المقطع التالي، قالت العنقاء مرة أخرى بنفاد صبر. إنه يبتدئ كما يلي: ... «لما جاوزت حديقتها-».

- لم تجرؤ أليس على عصيان الأمر، وإن كانت متأكدة أن كل شيء لن يسير على ما يرام، ثم واصلت بصوت مرتعش:

لما جاوزتْ حديقتها، تمكنتُ من مشاهدة كيف أن البومة والنمر يتقاسمان طعاماً محشواً. أخذ النمر القشرة واللحم والعصير وترك للبومة الصحن. بعد الانتهاء من الطبق، غنمت البومة ملعقة الحساء،

بينما النمر، مزمجراً

حصل على الشوكة والسكين فوراً...

- ما الجدوى من تكرار هذا الهراء، قالت السلحفاة جامحة الخيال مقاطعة إياها، ما لم تشرحي تباعاً ما يعنيه؟ لم يسبق لي في حياتي أن سمعت شيئاً بمثل هذا الإرباك.

- أجل، أعتقد أن من الأفضل لك أن تتوقفي، قالت العنقاء، وكم كانت أليس مبتهجة باتباع هذه النصيحة!

- هل نعرض لوحة راقصة أخرى لرباعي السلطعونات أم تفضلين أن تنشدك السلحفاة المتوهمة أغنية؟ واصلت العنقاء.

أجابت أليس بلهفة شديدة: «بل أغنية، أرجوك، لو تفضلت السلحفاة المتوهمة بأدائها»، إلى حد أن العنقاء همهمت متضايقة بعض الشيء: «الأذواق تختلف! على كل، فليكن. أنشديها: ـ حساء السلحفاة ـ هلاّ تفضلت، يا صديقتي العزيزة؟».

أطلقت السلحفاة جامحة الخيال زفرة عميقة وبصوت يخنقه النحيب أحياناً، وأخذت تغني:

أيها الحساء الرائع، اللذيذ، الفواح، الأخضر، الحارق الرائع، نبذل من أجلك الغالي والنفيس للفوز بتذوقك أيها الحساء اللذيذ!

يا أروع حساء، حساء، حساء المساء!

أر...وع، ... أر...وع ... حسا...ء! حسا...ء، حسا...ء، حسا...سا...ء ... المساء. أر...وع، أر...وع... حسا...ء! أيها الحساء،

من سيطلب السمك، اللحم، أو البيض، أو حتى لحم الغزال؟ من لا يتخلى عن كل ذلك مقابل هذا الحساء العجيب واللذيذ؟

حسا... سا... سا... ء... المساء! أر...و...ع ...ح...سا...ء! حسا...ء، حسا...ء، حسا... سا...ء ...المساء! أر...وع، أر...وع، حسا...ء!

– غنِّ لنا هذه اللازمة مرَّة أخرى! صاحت العنقاء، وكانت السلحفاة المتوهمة قد شرعت في الصدح بها من جديد حين سُمِعَ صوت يصرخ من بعيد: «محكمة! فتحت الجلسة!».

– «أقبلي!» قالت العنقاء آمرة وهي تمسك بأليس من يدها ثم انطلقت بسرعة من دون أن تنتظر انتهاء الأغنية.

«أي جلسة محاكمة؟»، سألت أليس لاهثة من دون أن تتوقف عن الركض.

لكن العنقاء اكتفت بتكرار: «أقبلي!»، راكضة بسرعة بينما كان النسيم الذي يتبعهما يحمل إليهما كلمات الأغنية الحزينة وقد قلَّ صداها أكثر فأكثر:

حسا...ء، حسا...ء، حسا...سا...ء ...المساء!

أر...وع، أر... وع... حسا...ء!





الفصل الحادي عشر

من سرق الفطائر؟

عندما وصلت أليس والعنقاء، كان الملك وملكة الكُبّة يجلسان على كرسي العرش يحيط بهما حشد كبير من الحيوانات والطيور الصغيرة من شتى الأصناف، إضافة إلى المجموعة الكاملة لصور أوراق اللعب. وكان صبي الكُبّة يقف أمامهما مقيَّداً بالأغلال، يحرسه جنديان مسلحان؛ قرب الملك يوجد الأرنب الأبيض وهو يمسك بُوقاً بيد ولفافة من الرق باليد الأخرى. وفي وسط قاعة جلسات المحكمة نُصِبَت مائدة وُضِعَ عليها طبق كبير من الفطائر. كانت الفطائر تبدو شهية جدّاً إلى حد أن منظرها أيقظ جوع أليس. «كم أودُّ أن تنتهي المحاكمة لنَنْعَمَ بهذه المرطبات!» حدّثت أليس نفسها.

لكن لم يكن هنالك مجال لأن تتم الأمور على ذلك النحو، لذلك أخذت تجول بناظرها في ما حولها لتمضية الوقت. لم

يسبق لأليس أن ولجت قاعة الجلسات لأي محكمة، لكنها قرأت كتباً عن المحاكم، وقد فرحت كثيراً لأنها اكتشفت أنها تعرف أسماء جل الأشياء والمخلوقات الموجودة هناك. «هوذا القاضي، لأنه يعتمر شعراً مستعارا». وللتذكير لم يكن القاضي سوى الملك، وما دام كان يضع التاج على رأسه لم يبد عليه الارتياح، كما أن كل تلك البهرجة تفتقد للأناقة. «آه! ها هي دكَّة هيئة المحلفين ومخلوقاتها الاثني عشر (لقد كانت مرغمة على الحديث عن مخلوقات كما هو معلوم إذ كان هنالك حيوانات وطيور في الآن نفسه)، أفترض أنهم المحلفون». ردّدت في نفسها هذه الكلمة الأخيرة مرتين أو ثلاث مرات متتالية، وهي فخورة جدّاً لمعرفة ذلك؛ لأنها كانت تظن، بحق، أن قلة قليلة من الفتيات الصغيرات في عمرها تعرفن دلالة الكلمة. ورغم ذلك، كان بإمكانها أيضاً استعمال كلمة: «أعضاء لجنة التحكيم». كان جميع المحلفين الاثني عشر منهمكين في الكتابة بشكل محموم على ألواح.

- «ماذا يفعلون إذاً؟ ليس لديهم ما يدوِّنوه ما دامت المحاكمة لم تبدأ»، همست أليس في أذن العنقاء.

- إنهم يدوِّنون أسماءهم خشية أن ينسوها قبل نهاية الجلسة، أسرَّت العنقاء لأليس بصوت خفيض.

- يا لهم من أغبياء! تعجَّبت أليس بصوت مسموع يرتجف من شدة الغضب. لكنها لم تقل أكثر من ذلك لأن الأرنب الأبيض صاح: «سكوت!». بينما كان الملك يضع نظارتيه ويمسح بنظره، في حيرة، أرجاء القاعة لمعرفة هوية المتحدِّث.

لقد استطاعت أليس أن ترى جميع المحلفين وهم يكتبون على ألواحهم، كما لو كانت تنظر من خلف أكتافهم. «يا لهم من أغبياء!». بل أمكن لها ملاحظة أن واحداً من المحلفين الذي لا يعرف كتابة كلمة «أغبياء»، طلب من جاره مساعدته في كتابتها.

قالت أليس: «يا للخربشات التي ستمتلئ بها ألواحهم في انتظار انتهاء المحاكمة!».

كان قلم أحد المحلفين يُحْدِثُ صريراً مزعجاً. طبعاً، لم تتحمل أليس ذلك. دارت حول قاعة المحكمة وتسلَّلت خلف ذلك المحلَّف وانتهزت الفرصة كي تحجز القلم. لقد فعلت ذلك بخفة شديدة والمحلف المسكين (الذي لم يكن سوى بِيلْ السحلية) لم يستوعب ما حلَّ بقلمه. وبعد البحث عنه بلا جدوى كان مضطراً لاستعمال أصبعه للكتابة طوال اليوم. وكان ذلك طبعاً هدر للجهد لأن الأصبع لم يخلِّف أي أثر ملحوظ على اللوح.

صاح الملك: «أيها المنادي، اتْلُ صكَّ الاتهام!».

عقب ذلك، نفخ الأرنب الأبيض في البوق بقوة ثلاث مرَّات متتالية، ثم بسط لفافة الورق وقرأ الأسطر الآتية:

«ملكتنا، ملكة الكبة، صنعت الفطائر، طوال يوم صيفي جميل، لكن صبي الكبة سرق الفطائر كلها وهرب».

– تداولوا في الأمر من أجل إصدار حكمكم! أمر الملك المحلفين.

– ليس بعد! ليس بعد! ينبغي القيام بالكثير قبل الوصول لإصدار الحكم! احتج الأرنب.

- «نادي على الشاهد الأول»، استرسل الملك. فور ذلك نفخ الأرنب الأبيض من جديد في البوق ثلاث مرات متتالية ثم نادى: «الشاهد الأول!».

كان الشاهد الأول هو صانع القبعات. دخل القاعة وهو يحمل فنجان شاي بيد وبالأخرى يمسك خبزاً مدهوناً بالزبدة. وقال: «قبل أي سؤال أرجو المعذرة من جلالتكم، لأنني أحضرت معي فنجاني وخبزي وذلك لكوني لم أكن قد فرغت تماماً من شرب الشاي حينما ناديتموني».

قال الملك: كان يجب عليك الانتهاء منه. متى بدأت ذلك؟

نظر صانع القبعات صوب أرنب مارس الوحشي الذي تبعه داخل قاعة الجلسات برفقة القرقدن، وكل واحد منهم يتأبط ذراع الآخر. ثم قال: أظن أن ذلك كان يوم الرابع عشر من مارس (آذار).

- بل الخامس عشر، قال أرنب مارس مصححاً.

-السادس عشر، أضاف القرقدن.

- «سجلوا كل ذلك»، قال الملك لهيئة المحلفين.

أسرع هؤلاء إلى تسجيل التواريخ الثلاثة على ألواحهم، تَمَّ جمعها وتحويلها إلى عملات نقدية من فرنكات وسنتيمات.

- اخلع قبعتك، أمر الملك صانع القبعات.

- إنها ليست لي، اعترض صانع القبعات.

- أسرقتها؟ قال الملك مستغرباً وهو يلتفت صوب هيئة المحلفين الذين سجّلوا الواقعة فوراً.

- أنا لدي قبعات للبيع، إنها ليست ملكي. أنا أحترف صنع القبَّعات.

عقب ذلك، وضعت الملكة نظارتيها وحدَّقت بشدة في صانع القبعات الذي ارتبك وصار وجهه شاحباً.

- أدل بشهادتك، قال الملك، وهدئ من روعك وإلا أمرتُ بإعدامك فوراً.

لم يبد ذلك مشجعاً بتاتاً للشاهد الذي أخذ يتمايل على نحو يثير السخط وهو يلقي باتجاه الملكة نظرات مرتبكة، ولاضطرابه كسر بقضمة من أسنانه جزءاً من فنجانه بدل قضم خبزه المشبّع بالدهون .

في تلك اللحظة بالذات اعترى أليس إحساس غريب حيَّرها قليلاً إلى أن اهتدت إلى السبب: لقد أخذ حجمها يكبر مجدداً. عَنَّ لها بادئ الأمر القيام ومغادرة قاعة الجلسات؛ لكن بعد إمعان التفكير قررت ملازمة مكانها أطول مدة ممكنة طالما اتسع لها المكان.

خاطبها القرقدن الذي كان يجلس إلى جانبها: أفضل ألا تضايقيني كما تفعلين، إني بالكاد أستطيع التنفس.

أجابته أليس بتصاغر: الذنب ليس ذنبي، إن حجمي آخذ في النمو.

قال القرقدن: ليس لك الحق في النمو، على الأقل هنا.

ردَّت عليه أليس بحزم: لا تتفوه بمثل هذه الحماقات، أنت تعلم أنك تنمو بدورك...

أجاب القرقدن: «أجل، لكنني أنمو بسرعة معقولة، وليس

بهذه الطريقة المضحكة». ثم انصرف، متذمراً، كي يجلس عند الطرف الأقصى للقاعة.

طوال كل ذلك الوقت لم تكفّ الملكة عن التحديق في صانع القبعات وأمرت حاجب المحكمة: «أحضر لائحة المنشدين الذين نشطوا الحفل الأخير!»

وعند سماعه لذلك أخذ صانع القبعات يرتجف بشدة إلى أن انخلع حذاؤه من رجليه.

كرر الملك بغضب: أدل بشهادتك وإلا أمرتُ بإعدامك، سواء ارتعبتَ أم لم ترتعب.

- أنا لستُ سوى رجل مسكين، يا جلالة الملك، بادر صانع القبعات بصوت مرتعش، ولم أكن قد شرعتُ في تناول الشاي... وعلى أي حال ليس أقل من أسبوع خلا، تقريباً، ومن جهة أخرى، حيث إن فطائر الزبدة صارت أرق أكثر فأكثر، ومن جهة أخرى، هناك لمعان الشاي...

- لمعان ماذا؟

- في هذه القضية ابتدأ كل شيء بالشاي.

- أكيد أن كل «شيء» يبتدئ بالشين، ردَّ الملك بنبرة لاذعة. أتحسبني مغفلاً؟ هيا، تابع!

- أنا لست سوى رجل مسكين، تابع صانع القبعات، ومعظم الأشياء شرعت في اللمعان... لكن أرنب مارس الوحشي قال... سارع أرنب مارس إلى القول: أنا لم أقل شيئاً على الإطلاق.

- بل فعلت! ردَّ صانع القبعات.

- إني أنكر ذلك، احتج أرنب مارس الوحشي.

- إنه ينكر ذلك، قال الملك، فلنترك هذا الموضوع خارج النقاش.

- على أي، وفي كل الأحوال، القرقدن قال..، تابع صانع القبعات وهو يجول بنظره الحائر للتأكد مما إذا كان القرقدن سيكذبه هو الآخر، لكن القرقدن لم ينكر أي شيء لأنه كان يغط في سبات عميق.

- بعد ذلك، قطعتُ فطائر إضافية...، واصل صانع القبعات.

- لكن ماذا قال القرقدن؟ سأل أحد المحلفين.

- أما عن ذلك فلا أتذكر شيئاً، ردّ صانع القبعات.

- يجب عليك أن تتذكر ذلك حتماً وإلا أمرتُ بإعدامك، قال الملك محذراً إياه.

أسقط صانع القبعات التعس فنجانه وخبزه المدهون وجثا على ركبته قائلاً: «أنا لست سوى رجل مسكين، يا جلالة الملك».

- بل إنك متحدث تعس، قال الملك. عند سماع ذلك أخذ خنزير الهند البري يصفّق لكن حُجَّاب المحكمة خنقوه فوراً. (وبما أن ذلك قد يبدوْ عصيّاً على الفهم، سوف أشرح لكم كيف قاموا بذلك: كان لديهم كيس من القماش تغلق فتحته بخيوط رفيعة؛ حشروا فيه خنزير الهند البري،رأسه أولاً، ثم جلسوا

فوقه). أنا مسرورة لمشاهدة ذلك، فكّرت أليس، كثيراً ما قرأتُ في الصحف، في خاتمة تقرير محضر الجلسة: ... كانت هناك محاولة للتصفيق عمل حجاب المحكمة على إسكاتها فوراً... لكن إلى حد اليوم لم أفهم إطلاقاً ما تعنيه تلك العبارة.

- إذا كان ذلك كل ما لديك عن هذه القضية، يمكنك النزول من على المنصة، قال الملك.

-لا يمكنني النزول أكثر من ذلك، قال صانع القبعات، أنا على البلاط مسبقاً.

- «إذاً، يمكنك الجلوس». بعد هذه الكلمات صفق خنزير الهند الثاني الذي خُنق فوراً.

- جميل، ها نحن قد تخلصنا من خنازير الهند! قالت أليس. الآن ستكون الأمور على ما يرام.

- أُفَضِّل إنهاء فنجان الشاي، أجاب صانع القبعات، وهو يلقي بنظرة حيرى نحو الملكة التي كانت منهمكة في قراءة لائحة المنشدين.

- يمكنك الانصراف، قال الملك.

حينها قام صانع القبعات بأقصى سرعة من دون أن ينتعل حذاءه.

«... فور مغادرته المحكمة، اقطعوا رأسه»، أمرت الملكة، موجهة الكلام لحجاب المحكمة. لكن صانع القبعات كان قد اختفى عن الأنظار قبل أن يصل الحاجب إلى الباب.

«نادوا على الشاهد التالي!»، أمر الملك.

كان الشاهد التالي هو طاهية الدوقة. كانت تحمل بيدها علبة الفلفل وقد عرفت أليس بقدومها قبل أن تدخل من الطريق التي أخذ بها الموجودون قرب الباب يعطسون جماعة.

– اطرحي ما لديك، قال الملك.

– لن أفعل، ردت الطاهية.

– نظر الملك بارتباك نحو الأرنب الأبيض الذي همس في أذنه: «يجب على جلالتكم إخضاع هذا الشاهد لاستنطاق مضاد».

– «إذا كان لا بد من ذلك فلا بد منه»، قال الملك بنبرة حزينة؛ وبعد أن صالب ذراعيه نظر نحو الطاهية عاقداً حاجبيه إلى أن كادت عيناه تختفيان كليّاً ثم قال بصوت حازم: «مِمَّ تُصْنَعُ الفطائر؟».

– من الفلفل، على الدوام تقريباً، أجابت الطاهية.

– من ثفل قصب السكر، همس من خلفها صوت يغالبه النعاس.

– «احملوا هذا القرقدن من طوقه! اقطعوا رأس هذا القرقدن! أطردوه! أخنقوه! أقرصوه! انتزعوا شاربيه!»، صرخت الملكة.

خلال الدقائق اللازمة لطرد المتهم، عمَّت القاعة فوضى عارمة، وبعد أن عاد الجميع إلى أماكنهم، كانت الطاهية قد اختفت.

– لا يهم! قال الملك الذي بدا عليه ارتياح كبير. نادوا على الشاهد التالي!. ثم أضاف بصوت خفيض محدِّثاً الملكة: بكل

صدق! يا رفيقتي الغالية، أنت من يجب عليه إخضاع الشاهد التالي لاستنطاق مضاد. أما أنا، فذلك يصيبني بالصداع!

- وبينما كان الأرنب الأبيض يراجع لائحته على نحو أخرق، كانت أليس تراقبه والفضول يدفعها إلى معرفة من سيكون الشاهد التالي... فقالت محدِّثة نفسها، «إلى الآن لم يتم جمع ما يكفي من الأدلة»، ولكم أن تتخيلوا دهشتها حينما سمعت الأرنب الأبيض ينادي بصوته الحادّ: «أليس!».



الفصل الثاني عشر

شهادة أليس

«حاضرة!» أجابت أليس. ونظراً إلى انفعالها مما رأت وسمعت، نسيت أليس تماماً أن حجمها كَبُرَ خلال الدقائق السابقة، قامت من مكانها بعجلة شديدة، بحيث إن حاشية تنورتها علقت بدكة المحلفين التي تهاوت، فانقلب المحلفون على رؤوس الحضور الذين كانوا يجلسون في الأسفل، وأخذوا يترنّحون وسطهم على نحو يائس، وقد ذكرها منظرهم كثيراً بأسماك حوض حمرٍ كانت قد قلبته من غير قصد منذ ثمانية أيام خلت.

- أوه! أرجو منكم المعذرة! صاحت أليس بصوت منزعج.

ثم اندفعت كي تلتقطهم بسرعة، لأنها لم تتوقف عن التفكير في أسماك الحوض، وتخيلت على نحو ملتبس بأن عليها التقاطهم

وإعادتهم إلى دكتهم من دون هدر ولو ثانية. وإلا فإنهم سيموتون.

قال الملك بنبرة وقار: عُلِّقَتِ الجلسة إلى أن يعود جميع المحلفين ومن دون استثناء إلى أماكنهم. جميعهم من دون استثناء. ثم كرَّر ذلك بكثير من التأكيد وهو يُصَوِّبُ نحو أليس نظرات خالية من أي لطف.

نظرت أليس إلى دكة المحلفين فوجدت أنها، خلال اندفاعها، قد أرجعت السحلية إلى مكانها، لكن رأسها إلى الأسفل، وبالتالي كانت تحرّك ذيلها بحزن، ولعجزها عن التخلص من ذلك المأزق بمفردها، أسرعت أليس لإعادتها إلى وضعها الطبيعي: «وإن لم يكن لذلك أي أهمية، لا أعتقد بأنها تفيد هذه المحاكمة، سواء كانت في هذا الاتجاه أو ذاك».

وفور استرجاع المحلفين لأنفاسهم من شدة الانفعال، وبعد أن استعادوا أقلامهم وألواحهم أخذوا يسجّلون حكاية ما حدث لهم بتفصيل وأمانة؛ جميعهم باستثناء السحلية التي بدا أنها مرهقة جدّاً للقيام بشي آخر سوى ملازمة الجلوس، وفمها مشرع، وهي تنظر إلى السقف.

- ماذا تعرفين عن هذه القضية؟ سأل الملك أليس.

- لا شيء. ردَّت الفتاة الصغيرة.

- لا شيء على الإطلاق؟ ألحَّ الملك.

- لا شيء على الإطلاق.

- هذا شيء مهم جداً، قال الملك وهو يلتفت صوب

المحلفين الذين كانوا على وشك تدوين تلك الجملة على ألواحهم حينما تدخل الأرنب الأبيض قائلاً: «بل غير مهم... طبعاً... هذا ما كانت تقصده جلالتكم»، صحح الأرنب بنبرة يغمرها الاحترام وكان يرفق ذلك بعقد حاجبيه وبإيماءات.

سارع الملك إلى القول: «غير مهم طبعاً، هذا ما كنتُ أرمي إليه». ثم طفق يكرر بصوت خفيض محدِّثاً نفسه: «مهم... غير مهم... غير مهم... مهم»، كما لو أنه يريد اختيار الكلمة الأحسن وقعاً.

بعض المحلفين كتب «مهم» وبعضهم الآخر، «غير مهم».

وقد لاحظت أليس ذلك لأنها كانت قريبة جدّاً منهم حيث قرأت ما دُوِّنَ على ألواحهم؛ «لكن في كل الأحوال، ليس لهذا أي أهمية»، فكرت أليس.

في تلك اللحظة قام الملك الذي كان منهمكاً منذ بعض الوقت في الخربشة على كرّاسه وصاح آمراً: «سكوت!»، ثم أخذ يقرأ بصوتٍ عالٍ: «الفصل 42: كل شخص يتجاوز طوله ألف متر عليه مغادرة قاعة المحكمة». توجهت كل الأنظار صوب أليس.

- لا يبلغ طولي ألف متر، قالت أليس.

- بل تبلغين ذلك، قال الملك.

- بل قرابة ألفيْ متر، أضافت الملكة.

- في كل الأحوال، سوف أظل هنا ولن أغادر، قالت أليس. ثم إن الفصل 42 لا وجود له في القانون، لقد اختلقْتَه للتو.

- إنه أقدم فصل في القانون، قال الملك.

- في هذه الحال، يجب أن يحمل الرقم1، نبهته أليس.

شحب وجه الملك وسارع إلى إغلاق كرَّاسه. ثم قال آمراً المحلفين بصوت خفيض ومرتجف: ابدأوا المداولة لإصدار الحكم. لكن الأرنب الأبيض سارع إلى التوضيح: هلاّ تفضّلت جلالتكم، هناك أدلة إثبات إضافية ينبغي فحصها، لقد اكتشفتُ للتو هذه الورقة.

- ماذا كُتِبَ عليها؟ سألت الملكة.

- لم افتحها، أجاب الأرنب الأبيض، لكن يبدو أنها رسالة بخط يد سجين إلى... شخص ما.

- هوذاك، قال الملك. ما لم تكن هذه الرسالة غير مُرْسَلة لأحد، وهذا أمر نادر كما تعلمون.

- لمن أُرسلت؟ سأل أحد المحلفين.

- لم تُرْسَلْ لأحد، أجاب الأرنب الأبيض. في الواقع لم يُكْتَبْ أي شيء على وجهها الخارجي. وبينما كان يفتح طيات الورقة أضاف: في نهاية المطاف، إنها ليست رسالة بل أبيات شعرية.

- هل هذه الأبيات بخط يد السجين؟ سأل محلف آخر.

- لا، أجاب الأرنب الأبيض؛ وهذا أغرب ما في الأمر. (وبدت الحيرة على جميع المحلفين).

- لعله قلَّد خطَّ شخص ما، قال الملك. (عند سماع هذه الكلمات بدا على وجوه المحلفين الانبساط).

- هلاّ سمحت لي جلالتكم، قال صبيُّ الكُبّة، لست أنا من كتبها، ولا يستطيع أحد إثبات العكس، إذ لا تحمل الأبيات أي توقيع.

- إذا لم تكن قد وقَّعْتَ عليها، ردَّ الملك، فهذا يفاقم وضعيتك. لو لم تكن لديك نية سيئة، لكنتَ وقعت عليها باسمك مثلما يفعل كل صاحب مروءة.

عقب هذه الكلمات، شرع الجميع يصفّق، لقد كانت تلك أذكى كلمة نطق بها الملك منذ بداية اليوم.

- هذا يدل على أنه مذنب رسمياً، قالت الملكة.

- ذلك لا يدل على أي شيء بتاتاً. صاحت أليس. لا يصدَّق! بل إنكم لا تعلمون حتى عمَّ تتحدث الأبيات المذكورة!

- اقرأها! أمر الملك.

وضع الأرنب الأبيض نظارتيه وسأل: إذا تفضلت جلالتكم، من أين أبدأ؟

- إبدأ من البداية، قال الملك بنبرة صارمة، ثم تابع القراءة إلى أن تصل النهاية وتوقف. وها هي الأبيات التي قرأها الأرنب الأبيض:

زعموا أنك كنتَ لها، وبأنك تحدثت عني له، هو: قالت إن لي مزاجاً رائقاً إلا أني لم أكن سباحاً ماهراً.

كتب لهم أني بقيت في الخلف (كنا نعلم أنها الحقيقة) إن كانت تريد الذهاب إلى آخر المطاف، أتساءل ما الذي سيمنعها.

أعطيتهم منها واحدة، وأعطوني منها اثنتان، أنت، أنت أعطيتنا

منها ثلاثاً أو ما يزيد؛ لكنها عادت إليهم، هم، جميعها وإن كان هناك من احتج على القِسْمَة.

إذا ما كَتَبَ الشقاء عليها أو عليَّ غداً أن نُتهم في هذه القضية الغامضة،

فمن واجبكم العمل على تخليصهم مثلما تم تخليصنا في السابق.

إذ كان رأيي أنك تمثل (قبل أن تصاب هي بالصدمة العصبية) عائقاً يقف حجر عثرة بيننا وبين ذلك الشيء الذي حدَّثنا عنه هؤلاء.

لا تصارحه، هو، بأنها تحبها لأن كل هذا يجب أن لا يعلم به بقية الناس إلى الأبد، إنه سر: سر مكتوم بينك وبيني.

قال الملك وهو يفرك يديه: هذا هو الدليل الأهم الذي وقع بين أيدينا إلى الآن، وبالتالي على المحلفين...

قالت أليس (التي كبر حجمها خلال الدقائق الأخيرة على نحو لم تعد تخشى معه مقاطعة الملك): لو كان من بين المحلفين من يستطيع تفسير هذه الأبيات لأعطيته عشرة سنتات. حسب رأيي ليس لهذه الأبيات أي معنى.

كتب جميع المحلفين على ألواحهم: «بحسب رأيها، ليس لهذه الأبيات أي معنى على الإطلاق»، لكن ولا واحد منهم حاول تفسير الأبيات.

إذا لم يكن لهذه الأبيات أي معنى، قال الملك، فذلك يغنينا عن الكثير من المتاعب، ما دمنا لسنا في حاجة لإيجاد معنى لها.

ثم واصل وهو يمدد الورقة على ركبته ناظراً إلى الأبيات بعين واحدة: «لا أدري، لكن يبدو لي رغم كل شيء أن لهذه الأبيات دلالة ما... مثلاً: إلا أني لم أكن سباحاً ماهراً... أنت لا تجيد السباحة، أليس كذلك؟» أضاف الملك مُوَجِّها كلامه لصبي الكبة.

هزَّ الصبي رأسه بأسى وقال بحيرة: «هل يبدو عليَّ مظهر من يجيد السباحة؟». (بالتأكيد لا يبدو عليه ذلك مادام مصنوعا من الورق المقوى).

إلى غاية الآن كل شيء متطابق، قال الملك، ثم تابع التعليق على الأبيات بصوت خفيض: كنا نعلم أنها الحقيقة... المقصود هنا هم المحلفون، بالطبع... إن كانت تريد الذهاب إلى آخر المطاف... لا يصدق، الأمر واضح، هي، إنها الملكة.

أتساءل من الذي سيمنعها! نستطيع التساؤل، بالفعل! أعطيتهم منها واحدة، وأعطوني منها اثنتين... وإذاً، لا شك أن ذلك ما صنعه المتهم بالفطائر.

عقبت أليس منبهة إياه: «لقد أغفلت التتمة: لكن عادت إليهم، هم، جميعها».

- أصَبْتِ، ها هي! صاح الملك بنبرة المنتصر مشيراً بإصبعه إلى الفطائر الموضوعة على المائدة. «ليس هناك ما هو أكثر وضوحاً من هذا المقطع» ثم أضاف سائلا الملكة: «قبل أن تصاب هي بالصدمة العصبية»، لم يسبق لك الإصابة بأزمة عصبية يا رفيقتي الغالية، أليس كذلك؟



- إطلاقاً! ردَّت الملكة بصوت غاضب وهي ترمي رأس السحلية بمحبرة.

(كان بيل الصغير المأسوف عليه قد توقف عن الكتابة على لوحه بإصبعه، لإدراكه أن ذلك لا يخلف أي أثر؛ لكنه عاد للعمل بحيوية مستعملاً الحبر الذي يسيل من وجه إلى أن صار جافاً). - إن كنتِ لا تخشين الصدمات العصبية، فيجب أن لا تخافي الصدمات الصَّبِيَّة (نسبة إلى صبي الكبة)، قال الملك. ثم جال بنظره مبتسماً وعلامات الرضا بادية عليه. عمَّ القاعة صمت رهيب.

- إنه مجرد لعب بالكلمات! أضاف بنبرة انزعاج. فانفجر الجميع ضاحكاً. « فليتداول المحلفون من أجل إصدار حكمهم!»، أمر الملك بذلك للمرة العشرين ذلك اليوم.

- لا، لا! صاحت الملكة. العقوبة أولاً، ثم يليها الحكم.

- لكن ذلك أمر سخيف! احتجت أليس بصوتٍ عالٍ. يا لها من فكرة!

- اخرسي! أمرت الملكة وقد احمرت وجنتاها من شدة الغضب.

- لن أصمت! ردت أليس.

- فليقطع رأسها! صاحت بكل ما أوتيت من قوة. لكن لم يتحرك أي أحد.

- من يبالي بكم؟ قالت أليس التي استعادت حجمها العادي الآن. لستم سوى أوراق لعب.!

عقب هذه الكلمات تطايرت أوراق اللعب بكاملها في الأجواء، ثم سقطت مبعثرة على أليس. ندَّت عنها صرخة صغيرة هي مزيج من الغضب والفزع، وحاولت بيديها معاً إبعاد سيل الأوراق... فوجدت نفسها مستلقية في المنحدر ورأسها مسنود إلى ركبَتَيْ أختها التي كانت تزيل من على وجهها وبكل رِقَّة بعض الأوراق اليابسة المتساقطة من الأشجار المجاورة.

قالت لها أختها: عزيزتي أليس، استيقظي، يا له من سبات طويل ذاك الذي غشاك!

- أوه، لقد رأيت حلماً غريباً! صاحت أليس.

ثم قصَّت على أختها، قدر ما استطاعت التذكر، كل تلك المغامرات الغريبة التي قرأتموها للتو. وعندما أنهت حكايتها، قبَّلتها أختها وقالت لها: أكيد أن ذلك كان حلماً غريباً يا أختي. لكن الآن اذهبي بسرعة لتناول الشاي، لقد تأخر الوقت. قامت أليس وذهبت راكضة وهي تفكر في الحلم العجيب الذي رأته للتو.

لكن أختها ظلت جالسة في المكان ذاته الذي تركتها أليس فيه. رأسها متكئ على يدها، تراقب الشمس الآفلة وهي تفكر في أليس الصغيرة وفي كل مغامراتها العجيبة إلى حد أنها أخذت تحلم بدورها. وهذا ما رأته في حلمها:

بداية، رأت في حلمها أليس الصغيرة. ومن جديد كانت يداها على ركبتيها، وعيناها البراقتان الحادَّتان تحدقان في عينيها؛ بل ظنت أنها سمعت نبرة صوت أختها، وخالت نفسها رأت حركة

رأسها إلى الخلف تلك المعتادة كلما أرادت إزاحة خصلات الشعر التي كانت تعاند في الوقوع على عينيها؛ وبينما كانت تستمع أو تعتقد الاستماع بدا لها أن المخلوقات العجيبة المنبعثة من حلم أختها الصغيرة تغمر فجأة المكان حيث هي. أخذت أعشاب المرج العالية تصدر حفيفاً عند رجليها جرَّاء عبث الأرنب الأبيض الراكض، واجتاز الفأر الخائف البركة المجاورة سباحة قاذفاً حوله رذاذ الماء، كما سمعت رنين فناجين الشاي التي يتحلَّق حولها أرنب مارس الوحشي وأصدقاؤه، وصوت الملكة المنفر الآمر بإعدام ضيوفها التعساء؛ ورأت الخنزير الرضيع يعطس على ركبتي الدوقة بينما الصحون والأطباق تنكسر حوله؛ وصوت عنقاء مغرب، وصرير قلم السحلية على اللوح، والضجيج الناجم عن اختناق الخنازير الهندية البرية التي تكتم أنفاسها، المدوِّية في الأرجاء، المختلطة بالنحيب البعيد للسلحفاة المتوهمة التعسة.

ظلت على تلك الحال، مغمضة العينين، تكاد تظن نفسها في بلاد العجائب مع أنه كان يكفيها فتحهما كي يعيدها كل شيء إلى الواقع الممل. لن يُسْمَعَ حفيف العشب إلا بعد هبوب الريح ولن يتماوج المستنقع ما لم تلامسه عيدان القصب المنحنية؛ وسيحل رنين الأجراس المعلَّقة حول أعناق الخراف مكان رنين الفناجين، ويحل نداء الراعي مكان صراخ الملكة الحاد، بينما يعوِّض ضجيج الفناء المختلط عطسات الرضيع وصراخ العنقاء، ويحل خوار الثيران البعيد مكان نحيب السلحفاة المتوهمة.

وأخيراً، تخيلت أختها الصغيرة وقد صارت في المستقبل امرأة ناضجة حافظت عبر سنوات النضج على ذلك القلب الصافي

الودود الذي كان لديها حينما كانت طفلة؛ ورأتها محاطة بأطفال صغار آخرين سوف تجعل عيونهم تشرق عندما تقص عليهم حكايات عجيبة وربما من بين ما قد تحكيه لهم، ذلك الحلم القديم، حلم بلاد العجائب، ولسوف تتقاسم أحزانهم الصغيرة وأفراحهم الساذجة، عبر تذكرها لطفولتها ولأيام الصيف السعيدة.

المحتويات



لويس كارول

أليس في بلاد العجائب

تُعتبر رواية "أليس في بلاد العجائب" معلمة من معالم الأدب العالمي البارزة، تستهوي الأطفال كما الكبار، جيلاً بعد جيل. تدور أحداثها حول شخصية أليس الحالمة والمغامرة وحول كثير من الشخصيات الغريبة مثل الأرنب الأبيض وقط الشيشاير وأرنب مارس الوحشي... وتجعل من مغامراتها عملاً أدبياً خالداً.

* * *

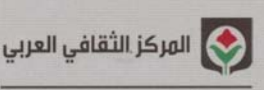
أخذ الضجر يتسلل إلى أليس من المكوث جالسة من دون فعل أي شيء برفقة أختها التي كانت تقرأ كتاباً لا صور فيه ولا حوارات، "وما الفائدة من كتاب لا صور فيه ولا حوارات؟" تتساءل أليس. وها هو أرنب أبيض بعينيه الورديتين، لابساً صدرية، يمر راكضاً بالقرب منها. لم تستغرب الأمر بتاتاً. ولكن عندما قام بإخراج ساعة من جيبه بعد أن صرخ: "يا إلهي! يا إلهي! سوف أتأخر!" لحقت به أليس، وهي تتحرق فضولاً، حينما ولجت بدورها الجُحر خلفه بدون أن تنشغل بمعرفة سبيل مغادرته. ثم هوت ساقطة في ما يشبه بئراً لا نهاية له، أوصلها إلى عالم غير عالمها. فيه سوف تلتقي مجموعة من الشخصيات غريبة الأطوار لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام المفارقة، والعبث والغرابة...

لوحة الغلاف من فيلم ديزني


ISBN 978-9953-68-528-1

9 789953 685281





الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب 113/5158
markaz@wanadoo.net.ma
cca_casa_bey@yahoo.com